مفاتيـح الـرزق

الدكتــور

سيـد جمعـة سـلام

مكتبـة الإيمـان - المنصــورة

الطبعـة الأولى

1430 هـ - 2009 م

إهـداء

إلى طلاب الرزق الحلال المبارك الذى به تستجاب الدعوات وتنفرج الكربات.

إخوانى: إياكم والحرام فلا بركة مع الحرام، وإياكم أن تغرنكم الدنيا بزينتها فقليل حلال خير من الحرام الكثير، وها هى مفاتيح الرزق الحلال بين أيديكم إن شاء الله استفتحوا بها خزائن الصمد، فابتغِوا الرزقَ بالطّرق الحلال، وأجمِلوا في الطلب، ولا يحملنّكم حبُّ المال على أن تطلبَوه بمعاصي الله، فما عند الله لا يُنال إلا بطاعتِه، والرّزق المكتوبُ لكم لا بدَّ آتيكم، يطلب العبدَ رزقُه كما يطلبه أجلُه، فخُذوا بالأسباب النّافعةِ، خذوا بالأسباب المباحة، ليكن بيعُكم واضحًا، وليكن تعاملكم صحيحًا، ولتكن كلُّ معاملاتِكم على وفق ما شرع الله، لنكونَ من المتقين، فاتّقوا الله في أنفسِكم، وتدبروا أمرَكم قبل لقاء ربّكم.

أخوكـم

دكتور سيد جمعة سلام

16 ربيع الأول 1430

13 مارس 2009

أميركا

* * *

مقدمة

في سورة الطلاق أو سورة النساء الصغرى - كما تسمى - وردت أربع آيات كريمات، ربطت بين الفعل والجزاء، ورتبت النتيجة على أسبابها ومقدماتها.

الآية الأولى: قوله تعالى:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٢ - ٣].

والثانية: قوله سبحانه:{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٣].

والثالثة: قوله عز وجل:{ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)} [الطلاق: ٤].

والرابعة: قوله تعالى:{ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5)} [الطلاق: ٥].

ولنا مع هذه الآيات بضع وقفـات:

الأولى: أن الجزاء في ثلاث من هذه الآيات رُتب على تقوى الله؛ وتقوى الله في معهود الشرع، فعل ما أمر الله به واجتناب ما نهى عنه، وتقوى الله رأس الأمر كله.

ففي وصية رسول الله ◘ لبعض صحابته، قوله عليه الصلاة والسلام:♂اتق الله حيثما كنت▬(1).

الثانية: جاء قوله تعالى:{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٣]

تكملة لأمر التقوى؛ فإذا كانت تقوى الله سبباً لتفريج الكربات، ورفع الملمات، وكشف المهمات، فإن في توكل المسلم على ربه سبحانه، ويقينه أنه سبحانه يصرف عنه كل سوء وشر، ما يجعل له مخرجًا مما هو فيه، وييسر له من أسباب الرزق من حيث لا يدري؛ وأكد هذا المعنى ما جاء في الآية نفسها، وهو قوله تعالى:{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٣].

---

(1) رواه أحمد والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

أي: لا تستبعدوا وقوع ما وعدكم الله حين ترون أسباب ذلك مفقودة، فإن الله إذا وعد وعدًا فقد أراده، وإذا أراد أمرًا يسر وهيأ أسبابه.

وقد وردت عدة أحاديث تشد من أزر هذا المعنى؛ من ذلك ما رواه أبو ذر رضي الله عنه، قال: قال النبي ◘ :♂إني لأعلم آية لو أخذ بها الناس لكفتهم▬، ثم تلا قوله تعالى:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٢ - ٣]، فما زال يكررها ويعيدها(1).

وعن ثوبان رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ◘ :♂إن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر▬(2).

أن الله سبحانه وعد عباده المتقين الواقفين عند حدوده، بأن يجعل لهم مخرجًا من الضائقات والكربات التي نزلت بهم؛ وقد شبَّه سبحانه ما هم فيه من الحرج بالمكان المغلق على المقيم فيه، وشبَّه ما يمنحهم الله به من اللطف وتيسير الأمور، بجعل منفذ في المكان المغلق، يتخلص منه المتضائق فيه.

---

(1) رواه أحمد والحاكم وغيرهما.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده.

الرابعة: احتراس ودفْعٌ لما قد يُتوهم من أن طرق الرزق معطلة ومحجوبة، فأعْلَم سبحانه بهذا، أن الرزق لطف منه، وأنه أعلم كيف يهيئ له أسبابًا، غير مترتبة ولا متوقعة؛ فمعنى قوله تعالى:{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ } أي: من مكان لا يحتسب منه الرزق، أي لا يظن أنه يُرزق منه.

تفيد الآيات المتقدمة، أن الممتثل لأمر الله والمتقي لما نهى الله عنه، يجعل الله له يسرًا فيما لحقه من عسر؛ واليسر انتفاء الصعوبة، أي: انتفاء المشاق والمكروهات؛ والمقصود من هذا تحقيق الوعد باليسر، فيما شأنه العسر.

في قوله تعالى:{ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5) } [الطلاق: ٥]

أعيد التحريض هنا على التقوى مرة أخرى، ورتَّب عليه الوعد بما هو أعظم من الرزق، وتفريج الكربات، وتيسير الصعوبات، وذلك بتكفير السيئات، وتعظيم الأجر والثواب.

وبعد: فإن للتقوى أثرًا أي أثر في حياة المؤمن، فهي مفتاح كل خير، وهي طريق إلى سعادة العبد في الدنيا والآخرة، يكفيك في ذلك، قول الله عز وجل:

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) } [الأعراف: ٩٦] وكان من دعائه ◘ :♂اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى▬(1).

من هذا المنطلق فقد أعطى الله تعالى للمؤمنين مفاتيح طلب الرزق وسعة الحال... فمن أخذ بها وسع الله رزقه... وسد فقره... وملأ حياته سعادة وقلبه رضا واطمئناناً.

فإليك أخى وحبيبى هذه المفاتيح التى قد جمعتها فى اثنى عشر مفتاحاً من كتاب الله عز وجل وصحيح السنة النبوية المطهرة.

* * *

(1) رواه مسلم.

المفتاح الأول:

الاستغفار

كلما زاد استغفارك زاد رزقك بإذن الله

قال تعالى:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12) } [نوح: ١٠ - ١٢].

هل تريد تكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات ؟

هل تريد الذرية الطيبة والولد الصالح والمال الحلال والرزق الواسع ؟

هل تتمنى الطمأنينة وراحة البال ؟

هل تريد صحة البدن والسلامة من العاهات والأمراض ؟

إذن.. عليك بالاستغفار.

* * *

فضائل الاستغفار

قال الله تعالى:{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)} [آل عمران: ١٣٥].

وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال: سمعت عليًّا يقول: إني كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله ◘ حديثاً نفعني الله منه بما شاء أن ينفعني به وإذا حدثني رجل من أصحابه استحلفته فإذا حلف لي صدقته وإنه حدثني أبو بكر وصدق أبو بكر قال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂ما من رجل يذنب ذنباً ثم يقوم فيتطهر ثم يصلي ثم يستغفر الله إلا غفر الله له▬ ثم قرأ هذه الآية:{ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135)} [آل عمران: ١٣٥].

وقال تعالى:{ ۞ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17) } [آل عمران: ١٥ - ١٧].

عن أبي هريرة أن رسول الله ◘ قال:♂ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول من يدعوني فأستجيب له ومن يسألني فأعطيه ومن يستغفرني فأغفر له▬(1).

(1) رواه مسلم.

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ◘ :♂من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب▬(1).

وقال تعالى{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) } [الأنفال: ٣٣]،

وهذه الآية مؤذنة بالأمان من العذاب كما صرح بذلك الفخر الرازى.

وكان على كرم الله وجهه يقول: العجب ممن يهلك ومعه النجاة، قيل: وما هي؟ قال: الاستغفار(2).

وورد في فضل الاستغفار آيات وأحاديث كثيرة:

ففي حديث أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رسول الله قال:♂إن الشيطان قال: وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم، فقال الرب تبارك وتعالى: وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني▬(3).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂قال الله تعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالى، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالى، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة▬(4).

---

(1) رواه النسائي وأبو داود وابن ماجة والبيهقى قال الحاكم: صحيح الإسناد.

(2) فيض القدير.

(3) أخرجه أحمد وأبو يعلى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(4) رواه الترمذي.

وقال رسول الله ◘ :♂يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد ومن جاء بالسيئة فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً ومن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولة ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرة▬(1).

عن أنس قال: كنا مع رسول الله ◘ في مسير فقال:♂استغفروا▬ فاستغفرنا فقال:♂أتموها سبعين مرة▬ قال: فأتممناها سبعين مرة فقال: رسول الله ◘ :♂ما من عبد ولا أمة استغفر في كل يوم سبعين مرة إلا غفر الله له سبعمائة ذنب وقد خاب عبد أو أمة عمل في اليوم والليلة أكثر من سبعمائة ذنب▬(2).

وأخرج أحمد من طريق أخشن السدوسى قال: دخلت على أنس فقال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂والذي نفسي بيده أو قال: والذي نفس محمد بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض ثم استغفرتم الله عز وجل لغفر لكم والذي نفس محمد بيده أو والذي نفسي بيده لو لم تخطؤوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطؤون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم▬(3).

* * *

(1) أخرجه مسلم في صحيحه من حديث معرور بن سويد عن أبي ذر.
(2) رواه البغدادى.
(3) أخرجه أحمد.

استغفار رسول الله ◘

قال البخاري: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: قال أبو هريرة: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة▬. وفى حديث أنس:♂إنى لأستغفر الله في اليوم سبعين مرة▬(1).

وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ◘ :♂إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة▬(2).

قال حذيفة: كنت رجلا ذرب اللسان على أهلي قلت: يا رسول الله قد خشيت أن يدخلني لساني النار، قال النبي ◘ :♂فأين أنت من الاستغفار؟ إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة▬(3).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ◘ جمع الناس فقال:♂يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة▬(4).

---

(1) رواه ابن حبان وابن ماجة.

(2) قال الهيثمى: حديث أبى هريرة صحيح ورجاله ثقات. وفى رواية أحمد والنسائى والطبرانى بلفظ "... فى كل يوم مائة مرة ".

(3) رواه أحمد والحاكم والنسائى وابن حبان.

(4) أخرجه مسلم والنسائى وأحمد.

وعن الأغر المزني الصحابي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂إنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة▬(1).

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما، قال: كنا لنعد لرسول الله ◘ في المجلس الواحد مئة مرة:♂رب اغفر لي، وتب على، إنك أنت التواب الرحيم▬(2).

* * *

الحض على الاستغفار والإكثار منه

عن عبد الله بن بسر قال: سمعت النبي ◘ يقول:♂طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً▬(3).

وجاء في هذا المعنى حديث الزبير بن العوام أن رسول الله ◘ قال:♂من أحب أن تسره صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار▬(4) وعن أبي هريرة قال: سمعت النبي ◘ قال:♂إن عبداً أصاب ذنباً وربما قال: أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت وربما قال: أصبت فاغفر لي فقال ربه: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ، ثم أصاب ذنباً أو أذنب ذنباً فقال: رب أذنبت أو أصبت آخر فاغفره ،

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(3) أخرجه النسائى وابن ماجة قال الهيثمى: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وقال الإمام النووي: جيد الإسناد.

(4) رواه الطبراني في الأوسط ورجاله ثقات.

فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثم مكث ما شاء الله ثم أذنب ذنباً وربما قال: أصاب ذنباً قال: رب أصبت أو قال: أذنبت آخر فاغفره لي فقال: علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به غفرت لعبدي ثلاثاً فليعمل ما شاء▬(1).

وعن علي بن ربيعة قال: شهدت عليًّا أتي بدابة ليركبها فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله فلما استوى على ظهرها قال: الحمد لله ثلاثاً ثم قال: { لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (13) } [الزخرف: ١٣] ثم قال: الحمد لله ثلاثاً الله أكبر ثلاثاً سبحانك إني ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثم ضحك قلت: من أي شيء ضحكت يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت النبي ◘ صنع كما صنعت ثم ضحك فقلت: من أي شيء ضحكت يا رسول الله؟ قال:♂إن ربك ليعجب من عبده إذا قال: رب اغفر لي ذنوبي قال: علم عبدي أنه لا يغفر الذنوب غيري▬(2).

ومن حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي ◘ كان يقول:♂اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساءوا استغفروا▬(3).

* * *

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه الحاكم وأحمد والترمذي: وقال حسن صحيح.

(3) أخرجه أحمد وابن ماجة وأبو يعلى.

أقوال في الاستغفار

يروى عن لقمان عليه السلام أنه قال لابنه: يا بني، عوِّد لسانك: اللهم اغفر لي، فإن لله ساعات لا يرد فيها سائلاً.

قالت عائشة رضي الله عنها: طوبى لمن وجد في صحيفته استغفاراً كثيراً.

قال قتادة: إن هذا القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم، فأما داؤكم فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار.

- قال أبو المنهال: (ما جاور عبد في قبره من جار أحب من الاستغفار).

- قال الحسن: أكثروا من الاستغفار في بيوتكم، وعلى موائدكم، وفي طرقاتكم، وفي أسواقكم، وفي مجالسكم، فإنكم لا تدرون متى تنزل المغفرة.

قال أعرابي: من أقام في أرضنا فليكثر من الاستغفار، فإن مع الاستغفار القطار، والقطار: السحاب.

* * *

صيغ الاستغفار

صيغ الاستغفار الواردة عن نبينا وبعض الصالحين

***{ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (109) } [المؤمنون: ١٠٩].**

***{ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)} [آل عمران: ١٤٧].**

***{ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا (28) } [نوح: ٢٨].**

***{ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)[آل عمران: ١٤٧].**

***{ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (118) } [المؤمنون: ١١٨].**

***{ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ (192) رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا ۚ رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193)} [آل عمران: ١٩١ - ١٩٣].**

***{ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (1) } [التحريم: ٨].**

*{ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16)} [آل عمران: ١٦].

*{ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ۖ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ (47) } [هود: ٤٧].

*{ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41) } [إبراهيم: ٤٠ - ٤١].

*{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) } [البقرة: ٢٨٦].

*{ وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (87) } [الأنبياء: ٨٧].

*♂اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك وأبوء بذنبي فاغفرلى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت▬ (سيد الاستغفار).

*♂ربي اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري كله وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لي خطاياي وعمدي وجهلي وهزلي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير▬.

* أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه.

* أستغفر الله.

* سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

* اللهم اغفر لي وارحمني وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم.

* ربي اغفر لي وتب عليَّ إنك أنت التواب الرحيم (مائة مرة).

* اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت.

* اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فارحمني وأنت خير الراحمين.

* اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك عملت سوءاً وظلمت نفسي فتُب علي إنك أنت التواب الرحيم.

* اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ربي وأنا عبدك ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر ليّ ذنوبي جميعها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (1).

* اللهم اغفر لي ذنوبي وخطاياي كلها اللهم أنعشني واجبرني واهدني لصالح الأعمال والأخلاق فإنه لا يهدي لصالحها إلا أنت ولا يصرف سيئها إلا أنت(2).

* رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم.

* اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا الله فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم.

---

(1) رواه مسلم.

(2) صحيح الجامع.

* أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه وأسأله التوبة والمغفرة.

* أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه توبة عبد ظالم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعًا ولا موتا ولاحياةً ولا نشوراً.

* اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي ورحمتك أرجى عندي من عملي سبحانك لا إله غيرك اغفر لي ذنبي وأصلح لي عملي إنك تغفر الذنوب لمن تشاء وأنت الغفور يا غفار اغفر لي يا تواب تب عليّ يا رحمن ارحمني يا عفو اعف عني يا رؤوف ارؤف بي.

* اللهم إني أسألك أن ترفع ذكرى، وتضع وزري، وتصلح أمرى، وتطهر فرجي، وتنور قلبي، وتغفر لي ذنبي وأسألك، أن تبارك لي في نفسي وفى سمعي وفى بصري. وفى خلقي وفى أهلى وفى محياي وفى مماتي وفى عملي وثقل حسناتي وأسألك الدرجات العلى من الجنة.

* اللهم اغفر لي هزلي وجدي، وخطأي وعمدي، وكل ذلك عندي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير.

* اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد، وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك، وأسألك قلبًا سليماً ولسانًا صادقاً، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم إنك أنت علام الغيوب.

* اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتى فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطنى سؤلي، وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي، اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي، ويقيناً صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبني إلا ما كتبته لي، وأسألك الرضا بما قسمته لي يا ذا الجلال والإكرام.

* * *

من ثمار الاستغفار

هل تريد راحة البال. وانشراح الصدر وسكينة النفس وطمأنينة القلب والمتاع الحسن ؟ عليك بالاستغفار:{ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ (3) } [هود: ٣].

هل تريد قوة الجسم وصحة البدن والسلامة من العاهات والآفات والأمراض والأوصاب ؟ عليك بالاستغفار:{ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ (52) } [هود: ٥٢].

هل تريد دفع الكوارث والسلامة من الحوادث والأمن من الفتن والمحن ؟ عليكم بالاستغفار:{ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (33) } [الأنفال: ٣٣].

هل تريد الغيث المدرار والذرية الطيبة والولد الصالح والمال الحلال والرزق الواسع ؟ عليكم بالاستغفار:{ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (10) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا (11) وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12) } [نوح: ١٠ - ١٢].

هل تريد تكفير السيئات وزيادة الحسنات ورفع الدرجات ؟ عليكم بالاستغفار:{ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ (58) } [البقرة: ٥٨].

الاستغفار هو دواؤك الناجح وعلاجك الناجع من الذنوب والخطايا، لذلك أمر النبي ◘ بالاستغفار دائماً وأبداً بقوله:♂يا أيها الناس استغفروا الله وتوبوا إليه فإني أستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة▬.

والله يرضى عن المستغفر الصادق لأنه يعترف بذنبه ويستقبل ربه فكأنه يقول: يا رب أخطأت وأسأت وأذنبت وقصرت في حقك، وتعديت حقوقك، وظلمت نفسي وغلبني شيطاني، وقهرني هواي وغرتني نفسي الأمارة بالسوء، اعتمدت على سعة حلمك وكريم عفوك، وعظيم جودك وكبير رحمتك.

فالآن جئت تائباً نادماً مستغفراً، فاصفح عني، واعف عني، وسامحني، وأقل عثرتي، وأقل زلتي، وامح خطيئتي، فليس لي رب غيرك، ولا إله سواك.

يـا رب إن عظمت ذنوبي كثرة ::: فلقد عـلمت بأن عفوك أعظم

إن كـان لا يرجوك إلا مـحسن ::: فبمن يـلوذ ويستجير المجرم

مـا لي إليك وسيلـة إلا الرضا ::: وجميل عـفوك ثم أني مسلم

ومن اللطائف كان بعض المعاصرين عقيماً لا يولد له وقد عجز الأطباء عن علاجه وبارت الأدوية فيه فسأل أحد العلماء فقال: عليكم بكثرة الاستغفار صباح مساء فإن الله قال عن المستغفرين:{ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا (12) } [نوح: ١٢]. فأكثر هذا الرجل من الاستغفار وداوم عليهن فرزقه الله الذرية الصالحة.

فيا من مزقه القلق، وأضناه الهم، وعذبه الحزن، عليك بالاستغفار فإنه يقشع سحب الهموم ويزيل غيوم الغموم، وهو البلسم الشافي، والدواء الكافي.

* * *

مع الاستغفار الرزق المدرار!

قالت امرأة: مات زوجي وأنا في الثلاثين من عمري وعندي منه خمسة أبناء وبنات، فأظلمت الدنيا في عيني وبكيت حتى خفت علي بصري، وندبت حظي، ويئست، وطوقني الهم، وغشيني الغم، فأبنائي صغار، وليس لنا دخل يكفينا، وكنت أصرف باقتصاد من بقايا مال قليل تركه لنا أبونا، وبينما أنا في غرفتي فتحت المذياع على إذاعة القرآن الكريم وإذا بشيخ يقول: قال رسول الله ◘ :♂من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً▬، فأكثرت بعدها من الاستغفار، وأمرت أبنائي بذلك، وما مر بنا والله ستة أشهر حتى جاء تخطيط مشروع على أملاك لنا قديمة، فعوضت فيها بملايين، وصار ابني الأول على طلاب منطقته، وحفظ القرآن كاملا، وصار محل عنايه الناس ورعايتهم، وامتلأ بيتنا خيرا، وصرنا في عيشة هنية، وأصلح الله لي كل أبنائي وبناتي، وذهب عني الهم والحزن والغم، وصرت أسعد امرأة!!!

نـــــداء:

يا من حرمت من الأولاد ويا من تريد الزواج

ويا من تريد فرج الله من الهموم التي ألمت بك

ويا من ضاقت الأرض عليك مـن المصائـب

تذكر أن الله معك ولن يخيب رجاءك بالاستغفار.

إخوتى:

اعلموا أن جميع ما يصيبنا من مصائب الدنيا إنما هو بذنوبنا فلنستغفر الله لتزول عنا هذه الهموم والغموم وأبشروا بعدها بالفرج القريب إن شاء الله.

* * *

المفتاح الثاني:

الإنفاق في سبيل الله

قد رغب الله تعالى عباده المؤمنين في البذل والإنفاق ووعدهم على ذلك أجراً عظيماً وبيّن لهم فضل عملهم هذا بالمضاعفة فى العطاء فقال تعالى:{ مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (261) } [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى:{ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245) } [البقرة: ٢٤٥].

والإنفاق في سبيل الله من أفضل الأعمال وأزكاها، فهو يزكي النفس ويطهّرها من رذائل الأنانية المقيتة والأثرة القبيحة، والشح الذميم، وبهذه التزكية يرتقي الإنسان في معارج الكمال والعطاء ولذلك كان العطاء من صفات الله عز وجل.

وهو أيضاً تطهير للنفس من العبودية لغير الله تعالى، وارتقاء لها واستعلاء ونجاة من البخل الذي يهبط بالعبد إلى مدارك العبودية للدينار والدرهم وصدق الله العظيم إذ يقول:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) } [التوبة: ١٠٣].

والإنفاق في سبيل الله هو في الحقيقة حفظ للمال وزيادة له وليس نقصاناً له وإتلافاً كما قد يظن البعض لقوله تعالى:{ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) } [سبأ: ٣٩] ولقوله ◘ :♂ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً▬(1).

والإنفاق في سبيل الله جهاد عظيم قدمه الله على الجهاد النفسي في القرآن ما يقارب تسع مرات وذلك لأهميته العظمى.

والمال لا تظهر فائدته إلا بالإنفاق في المصالح النافعة، أما كنزه وجمعه وعدّه فهو قتل له، وحرمان لثمراته من أن تظهر ولخيراته من أن تزهر، ولطاقاته من أن تتحرك وتنتج، والممسكون معطلون ومتلفون، ومحرومون وجمّاعون لغيرهم. وعن أبي ذر ☺ قال: انتهيت إلى النبي ◘ وهو جالس في ظل الكعبة فلما رآني قال:♂هم الأخسرون ورب الكعبة▬ فقلت: فداك أبي وأمي من هم؟ قال:♂هم الأكثرون أموالاً إلا من قال: هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، وقليل ما هم▬(2).

ورأى الأحنف بن قيس ☺ في يد رجل درهماً، فقال: (لمن هذا؟) قال: لي، قال: (ليس هو لك حتى تخرجه في أجر أو اكتساب شكر)، وتمثل بقول الشاعر:

---

(1) متفق عليه.
(2) روى البخاري ومسلم.

أنت للمال إذا أمسكته ::: وإذا أنفقته فالمال لك !!!

يقول ابن القيّم رحمه الله في شأن الصدقة: (إن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع البلاء حتى ولو كانت من فاجر أو ظالم بل من كافر، فإن الله يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء) اهـ.

فينبغي للمسلم أن ينفق ويتصدق ولا يمسك عن الإنفاق والبذل، وليحرص على أن يكون عمله هذا خالصاً لوجه الله تعالى لا رياءً ولا سمعةً أو طمعاً بمنافع دنيوية من سمعة وثناء، وألا يُتبع نفقته بالمن والأذى لمن أعطاه وتصدق عليه. لأن الإنسان لا ينفق لأحد إنما ينفق لنفسه هو، فمن يبخل فإنما يبخل على نفسه وإن أنفق فعلى نفسه:{ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (38) } [محمد: ٣٨]

ولا يمسك الإنسان ويبخل خشية الفقر فإن الله تعالى قد تكفل لمن أنفق في سبيله بالخلف. يقول تعالى:{ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ (39) } [سبأ: ٣٩]

ويقول ◘:♂ما نقصت صدقة من مال. بل تزده. بل تزده▬(1).

أنفق ولا تخش إقلالاً فقد قسمت ::: على العباد من الرحمن أرزاق

لا ينفع البخل مع دنياً مولية ::: ولا يضر مع الإقبال إنفاق

(1) رواه مسلم.

إن الكثيرين من الناس اليوم عندهم المال الضائع والتالف أحب إليهم من المال الباقي، ومال وارثهم أحب إليهم من أموال أنفسهم وذلك لأن ما يبذلونه على شهواتهم إسرافاً وتبذيراً مال تالف وهم يحبون ذلك، وما ينفقونه في سبيل الله مال باق ونام، إذ ينميه الله حتى تكون الحبة كالجبل، وهم يكرهون ذلك ولا تندفع نفوسهم إلى ادخاره عند الله وتخليده في خزائن رحمته وفضله، والذين يبخلون عن الإنفاق في وجوه الخير إنما يكنزون أموالهم لوارثهم وهم يحبون ذلك، فمال وارثهم أحب إليهم من مالهم لأن ما يجمعونه بالكد والجهد سيأخذه الوارث بالراحة التامة من غير تعب ولا جهد، وهذا ما بينه النبي ◘ لأصحابه فقال لهم:♂أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟▬ قالوا: يا رسول الله ما منّا من أحد إلا ماله أحب إليه، قال:♂فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر▬.

نماذج وقدوات في البذل والعطاء:

لقد ضرب سلفنا الصالح أروع الأمثلة في البذل والإنفاق، ولا غرابة في ذلك، فقد كان قدوتهم أجود الناس وأبرهم عليه الصلاة والسلام، فهو القدوة الحسنة والمثل الأعلى في الجود وحب العطاء فقد كان أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان إذ كان فيه كالريح المرسلة وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه مرتبة الكمال الإنساني في حبه للعطاء، إذ كان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ثقة بعظيم فضل الله وإيماناً بأنه هو الرازق ذو الفضل العظيم.

عن أبي هريرة ☺ قال: قال رسول الله ◘ :♂لو كان لي مثل أحد ذهباً لسرّني ألا يمر عليّ ثلاث ليال وعندي شيء منه إلا شيء أرصده لدين▬(1).

وعن جابر ☺ قال:♂ما سئل رسول الله ◘ شيئاً قط فقال لا▬(2).

وعلى هذا الدرب سار أصحابه من بعده وكذلك السلف الصالح من التابعين ومن بعدهم فقد أنفق أبو بكر الصديق ☺ ماله كله في إحدى المناسبات، وأنفق عمر نصف ماله وجهّز عثمان جيش العسرة بأكمله.

وباع طلحة بن عبيد الله أرضاً له إلى عثمان بن عفان بسبعمائة ألف درهم فحملها إليه، فلما جاء بها قال: (إن رجلاً تبيت هذه عنده في بيته فلا يدري ما يطرقه من أمر الله لضرير بالله !)، فبات ورسله تختلف بها في سكك المدينة توزعها حتى أسحر وما عنده منها درهم.

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البخاري ومسلم.

وكان دخل الليث بن سعد في كل سنة ثمانين ألف دينار، وما أوجب الله عليه زكاة درهم قط، وذلك لأنه كان ينفقها قبل أن يحول عليها الحول.

وأتت ابن عمر اثنان وعشرون ألف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها. وكان مورق العجلي يتجر فيصيب المال فيفرقه على الفقراء والمساكين، وكان يقول: لولاهم ما اتجرت.

وقضى ابن شبرمة حاجة كبيرة لبعض إخوانه فجاء يكافئه بهدية، فقال: ما هذا؟. قال: لما أسديته لي من معروف.

فقال: خذ مالك عافاك الله، إذا سألت أخاك حاجة فلم يجهد نفسه في قضائها فتوضأ للصلاة وكبر عليه أربع تكبيرات وعده من الأموات.

أما حكيم بن حزام فقد كان يحزن على اليوم الذي لا يجد فيه محتاجاً ليقضي حاجته حيث يقول: ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها.

* * *

دعوة للإنفـاق

أخي الحبيب:

بعد كل ما جاء في فضل الصدقة وما كان عليه السلف الصالح من حبهم للبذل والإنفاق في سبيل الله هل سيعطينا ذلك دافعاً للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم في حب الإنفاق والبذل في أوجه الخير المتعددة.

إننا الآن في رغد عيش ونعم عظيمة لا تعد ولا تحصى، فإذا لم ننفق الآن ونتوسع في ذلك ونحن على هذا الحال الطيبة - ولله الحمد - فمتى ننفق؟! أإذا حل الفقر بساحتنا؟! أم إذا نزل الموت بأرواحنا؟!

فأنفق أخي الكريم في سبيل الله ولا تتردد واحذر من وساوس الشيطان:{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286) }

[البقرة: ٢٦٨]

أنفق ولن تندم على الإنفاق أبداً بإذن الله فلربما درهم ينادي يوم القيامة: أنا صدقة فلان، والمؤمن تحت ظل صدقته في ذلك اليوم العظيم، يوم لا ظل إلا ظل العرش وظل الصدقة.

ولو راودتك نفسك في الإنفاق فانظر لنفسك عند شراء الطعام والشراب واللباس ولعب الأطفال، بل عند شراء الصحف والمجلات؟ كم تنفق على نفسك وشهواتك؟ بل كم تنفق على شراء الكماليات!! وكم تنفق في سبيل الله لنصرة دينك ومواساات إخوانك المسلمين المحتاجين؟!!

{ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ ۚ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم (38) } [محمد: ٣٨].

أخي المسلم: صح عن النبي ◘ أنه قال:♂لن تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس: عن عمره فيم أفناه، وعن شبابه فيم أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه؟ وماذا عمل فيم علم▬(1) .

فهل حاسبت نفسك - أخي المسلم - عن مالك، من أين اكتسبته، وفيم أنفقته؟ هل اكتسبته من حلال وأنفقته في حلال؟ أم اكتسبته من حرام وأنفقته في حرام؟ أم اكتسبته من حلال وأنفقته في الحرام؟

واعلم - أخي المسلم - أن المال سبب موصل إما إلى الجنة وإما إلى النار، فمن استعان به على طاعة الله، وأنفقه في سبل الخيرات، كان سببا موصلا إلى رضوان الله والفوز بالجنة، ومن استعان به على معصية الله، وأنفقه في تحصيل شهواته المحرمة، واشتغل به عن طاعة الله، كان سببا في غضب الله عليه واستحقاقه العقاب الأليم.

قال الله تعالى:{ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۗ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (34) } [التوبة: ٣٤].

(1) الترمذي وحسنه الألباني.

وأخبر سبحانه أن من أنفق ماله في الصد عن سبيل الله، فسوف يلحقه الخزي والندامة يوم القيامة، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) } [الأنفال: ٣٦].

وقال سبحانه عن القسم الأول الذين استعانوا بالمال على طاعة الله وأنفقوه في مرضاته:{ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ (29) لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ (30) } [فاطر: ٢٩ ٣٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ▫ أنه قال:♂ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جبهته وجنبه وظهره، كلما بردت أعيدت إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار▬(1) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ▫ :♂من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له شجاعاً أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمتيه - يعني شدقيه - يقول: أنا مالك.. أنا كنـزك▬(2).

* * *

(1) مسلم.
(2) البخاري.

الكنز في الإسلام

ليس الكنز في الإسلام هو المال الكثير، ولكنه المال الذي لم تؤد زكاته. قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: ما كان من مال تؤد زكاته فليس بكنز، وإن كان مدفوناً، وما ليس مدفوناً لا تؤدى زكاته، فإنه الكنز الذي ذكره الله تعالى في كتابه.

* * *

فريضة الزكاة وأهدافها

أخي المسلم: اعلم أن الزكاة أحد أركان الإسلام الخمسة، قال النبي ◘ :♂بني الإسلام على خمس▬ فذكر منهن:♂إيتاء الزكاة▬(1).

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس أحد لا يؤدي زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت، ثم تلا قوله تعالى:{ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (10) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (11) } [المنافقون: ١٠ - ١١].

قال ابن الجوزي: وينبغي للمتيقظ أن يفهم المراد من الزكاة، وذلك ثلاثة أشياء:

أحدها: الابتلاء بإخراج المحبوب.

والثاني: التنزه عن صفة البخل المهلك.

والثالث: شكر نعمة المال، فليتذكر إنعام الله عليه إذ هو المعطى لا المعطي!

---

(1) متفق عليه.

ويزاد على ما ذكره ابن الجوزي ما يلي: -

1- إعانة الضعفاء وكفاية ذوي الحاجة وقضاء الدين عن أهله.

2- تقوية روح الجماعة بين أفراد المجتمع والتخلص من الإفراط في حب الذات.

3- نشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع وعدم شعور الفقراء بالحقد على الأغنياء أو حسدهم.

4- الحفاظ على الدولة الإسلامية وحماية حوزة المسلمين عن طريق تقوية الجيوش والإنفاق على الجهاد والمجاهدين.

الحث على الصدقة:

أخي المسلم الحبيب: رغب الإسلام في الصدقة، والعطف على الفقراء، ومواساة أهل الحاجة والمسكنة، ورتب على ذلك أعظم الأجر عند الله تعالى يوم القيامة. فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ◘ نظر إلى رجل يصرف راحلته في نواحي القوم فقال:♂من كان عنده فضل من ظهر- أي مركوب - فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان عنده فضل من زاد، فليعد به على من لا زاد له▬(1) قال ابن مسعود: حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل !!

(1) رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - فإن الله يقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبها، كما يربي أحدكم فلوه - أي مهره - حتى تكون مثل الجبل▬(1)، وبين النبي ◘ أن الصدقة تظل العبد يوم القيامة وتحول بينه وبين حر الشمس حينما تدنو من الرؤوس. فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه عن النبي ◘ قال:♂كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس▬(2) وبين النبي ◘ أن أجر الصدقة يقع مضاعفاً إلى سبعمائة ضعف يوم القيامة، فعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: جاء رجل بناقة مخطومة فقال: هذه في سبيل الله، فقال رسول الله ◘ :♂لك بها يوم القيامة سبعمائة ناقة كلها مخطومة▬(3) .

والصدقة تطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂إن الصدقة لتطفئ غضب الرب وتدفع ميتة السوء▬(4) وأخبر النبي ◘ أنه قال:♂لا يخرج أحد شيئا من الصدقة حتى يفك عنها لحي سبعين شيطاناً▬(5) وأخبر الله سبحانه وتعالى أن الصدقة زكاة وطهارة للمسلم، حيث تزكو نفسه وترتفع عن أخلاق السفلة من الشح والبخل والأثرة وغيرها قال تعالى:{ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (103) } [التوبة: ١٠٣].

---

(1) متفق عليه.
(2) أحمد والحاكم وصححه الألباني.
(3) رواه مسلم.
(4) الترمذي وقال: حسن غريب.
(5) أحمد وابن خزيمة وصححه الحاكم والألباني.

وبين رسول الله ◘ :♂أن الصدقة لا تنقص المال▬، بل تزده بما يحصل فيه من بركة الإنفاق والعطاء، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂ما نقصت صدقة من مال..▬(1).

إخواني: إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلا والنعيم المقيم لما سمع الصحابة رضي الله عنهم قول الله عز وجل:{ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (148) } [البقرة: ١٤٨]، { ۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)} [آل عمران: ١٣٣]،

فهموا من ذلك أن المراد أن يجتهد كل واحد منهم، حتى يكون هو السابق لغيره إلى هذه الكرامة، والمسارع إلى بلوغ هذه الدرجة العالية، فكان أحدهم إذا رأى من يعمل للآخرة أكثر منه نافسه وحاول اللحاق به بل مجاوزته، فكان تنافسه في درجات الآخرة، واستباقهم إليها كما قال تعالى:{ۋ ۋ ۅ ۅ} [المطففين: ٢٦].

أما نحن فعكسنا الأمر، فصار تنافسنا في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية.

قال الحسن: إذا رأيت الرجل ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة!!.

وقال وهيب بن الورد: إذا استطعت ألا يسبقك أحد فافعل.

وقال عمر بن عبد العزيز في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة: ليس السابق اليوم من سبق به بعيره، إنما السابق من غفر له.

---

(1) رواه مسلم.

الله أكبر ! أين التنافس إلى الطاعات ؟

أين التسابق في الخيرات ؟

أين بذل الزكاة والصدقات ؟

أين أصحاب الهمم والعزمات ؟

آداب المزكي والمتصدق:

أخي المسلم الموفق: اعلم أن الإنفاق يشمل الزكاة المفروضة، والصدقة النافلة، والإيثار والمواساة للإخوان، وينبغي على المزكي والمتصدق مراعاة ما يلي: -

1- إصلاح النية: فينبغي للمتصدق أن يصلح نيته، فيقصد بالصدقة وجه الله عز وجل، فإنه إن لم يقصد وجه الله، وقصد بها رياء وسمعة لم تقبل منه، وعوقب على ذلك أيضاً.

2- تخير الحلال: فعن ابن عمر رضي الله عنه، عن رسول الله ◘ أنه قال:♂لا يقبل الله صدقة من غلول▬(1) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂أيها الناس! إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا▬ مسلم.

3- تخير الأجود: قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ الْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِآخِذِيهِ إِلَّا أَن تُغْمِضُوا فِيهِ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ (267)} [البقرة: ٢٦٧].

(1) رواه مسلم.

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: كان أبو طلحة أكثر أنصاري المدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء - أرض بالمدينة - وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ◘ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما نزلت هذه الآية:{ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)} [آل عمران: ٩٢]

، قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله ! إن الله تعالى يقول:{ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)} [آل عمران: ٩٢]

وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها حيث أراك الله، فقال رسول الله ◘ :♂بخ ذاك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين▬ قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه(1).

وعن نافع قال: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا اشتد عجبه بشيء من ماله قربه لربه عز وجل، قال نافع: وكان بعض رقيقه قد عرفوا ذلك منه، فربما شمر أحدهم فلزم المسجد، فإذا رآه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة أعتقه، فيقول له أصحابه: يا أبا عبد الرحمن! والله ما بهم إلا أن يخدعوك، فيقول ابن عمر لهم: من خدعنا بالله انخدعنا له !!

---

(1) متفق عليه.

وعن سعيد بن هلال أن ابن عمر رضي الله عنهما نزل الجحفة وهو مريض فاشتهى سمكاً، فلم يجدوا إلا سمكة واحدة، فلما قربت إليه أتى مسكين حتى وقف عليه، فقال له ابن عمر: خذها، فقال له أهله: سبحان الله! قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه. فقال: إن عبد الله يحبه!!

وقف سائل على باب الربيع فقال: أطعموه سكراً فقالوا: ما يصنع هذا بسكر؟ نطعمه خبزاً أنفع له. قال: ويحكم أطعموه سكراً فإن الربيع يحب السكر!!

4- تقديم الأقرباء: فمن الآداب أن يقدم المتصدق ذوي الحاجة من أقربائه وذوي رحمه، فقد أمر رسول الله ◘ أبا طلحة بذلك كما في الحديث السابق.

وقال رسول الله ◘ :♂الصدقة على المسكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان: صدقة وصلة▬(1).

5- تحري أهل الدين: وعلى المتصدق أن يتحرى بصدقته أهل الدين الذين يستعينون بهذه الصدقة على طاعة الله، ولا ينفقونها في معصيته فيكون معاوناً لهم على المعصية والإثم.

6- إسرار الصدقة: وعلى المتصدق أن يسر صدقته ما استطاع، إلا إذا كان في إعلانها مصلحة راجحة، فقد قال الله سبحانه:{ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (271)} [البقرة: ٢٧١].

(1) أحمد والترمذي والنسائي وصححه الالباني.

وذكر رسول الله ◘ من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله قال:♂ورجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه▬(1) .

7- إخراج ما سهل وإن قل: ومن الآداب أن يخرج المعطي ما سهل وإن قل، ولا يرد سائلا ولو بأيسر شيء فعن جابر رضي الله عنه قال:♂ما سئل النبي ◘ شيئا قط. فقال: لا▬(2).

وقال الحسن: أدركنا أقواماً كانوا لا يردون سائلا إلا بشيء.

وأتى سائل أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وعندها نسوة، فأمرت له بحبة عنب، فتعجبن النسوة فقالت: إن فيها ذراً كثيراً !! تتأول قوله تعالى:{ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (7) } [الزلزلة: ٧].

8- ولا يجوز تأخير الزكاة عن وقتها إذا حال الحول لأنها حق للفقير، ويجوز تقديمها على الحول.

9- وعلى المتصدق أن يتلطف مع الفقير وهو يعطيه، ولا يبطل صدقته بالمن والأذى قال تعالى:{ ۞ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ۗ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (263) } [البقرة: ٢٦٣]

وقال سبحانه:{ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (262) } [البقرة: ٢٦٢].

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

10- وعلى المسلم أن يعود نفسه الصدقة والعطاء والإيثار ولو كان فقيراً قليل ذات اليد، فقد سئل رسول الله ◘ عن أفضل الصدقة فقال:♂جهد المقل▬(1) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً أتى رسول الله ◘، فبعث إلى نسائه فقلن: ما عندنا إلا الماء !! فقال رسول الله ◘ :♂من يضيف هذا؟▬ فقال رجل من الأنصار: أنا، فانطلق به إلى امرأته فقال: أكرمي ضيف رسول الله ◘، فقالت: ما عندنا إلا قوت الصبيان، فقال: هيئي طعامك، وأصلحي سراجك، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء، فعلت ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين - أي جائعين- فلما أصبح غدا إلى رسول الله ◘، فقال:♂ضحك الله الليلة - أو عجب من فعلكما▬ فأنزل الله تعالى:{ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (1) } [الحشر: ٩].

* * *

(1) أحمد والنسائي وأبو داود. أي: صدقة الفقير.

إيثار حتى الموت !!

استشهد باليرموك عكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، والحارث بن هشام، وجماعة من بني المغيرة، فأتوا بماء وهم صرعى وأتي عكرمة بالماء، فرأى سهيل بن عمرو ينظر إليه، فقال: ابدؤوا بهذا فجيء إلى الحارث بن هشام فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى عكرمة فإذا هو قد مات، ثم جيء إلى سهيل بن عمرو فإذا هو قد مات، فماتوا جميعا قبل أن يشربوا، فمر بهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فقال: بنفسي أنتم!!

أخي: كم بينك وبين الموصوفين كما بين المجهولين والمعروفين.. آثرت الدنيا، وآثروا الدين ... فتلمح تفاوت الأمر يا مسكين !! أما الفقير فما يخطر ببالك.. فإذا جاء سائل أغلظت له في مقالك، فإن أعطيته فحقيراً يسيراً من رديء مالك.

* * *

أفضل أوقات الصدقة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ◘ أي الصدقة أعظم أجراً؟ قال:♂أن تصدق وأنت شحيح صحيح، تخشى الفقر، وتأمل الغنى، ولا تمهل حتى إذا بلغت الحلقوم قلت: لفلان كذا، ولفلان كذا، ألا وقد كان لفلان▬(1) .

* * *

صور من إنفاق السلف

تركت لهم الله ورسوله:

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أمرنا رسول الله ◘ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوما قال: فجئت بنصف مالي. فوجدت أبا بكر قد أتى بماله فقال رسول الله ◘ :♂ما أبقيت لأهلك؟▬ قال: أبقيت لهم الله ورسوله !! فقلت: (لا أسابقه إلى شيء أبداً)(2) .

---

(1) متفق عليه.

(2) أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح.

رجل واحد يجهز جيشا:

وكان عثمان رضي الله عنه من المنفقين أموالهم في سبيل الله، فعن عبد الرحمن ابن خباب قال: شهدت النبي ◘ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان فقال: يا رسول الله ! عليَّ مائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يا رسول الله ! عليَّ ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها في سبيل الله قال: فرأيت رسول الله ◘ ينزل على المنبر وهو يقول:♂ما على عثمان ما فعل بعد هذه.. ما على عثمان ما فعل بعد هذه▬ (1).

يطفئ السراج لئلا يتحرج السائل !!

وروي عن سعيد ين العاص أنه كان يعشي الناس في رمضان، فتخلف عنده ذات ليلة شاب من قريش بعدما تفرق الناس، فقال له سعيد: أحسب أن الذي خلفك حاجة؟ قال: نعم! أصلح الله الأمير. قال: فضرب سعيد الشمعة بكمه فأطفأها ثم قال: ما حاجتك؟ قال: تكتب لي إلى أمير المؤمنين أن عليَّ ديناً، وأحتاج إلى مسكن وخادم. قال: كم دينك؟ قال: ألفا دينار، وذكر ثمن المسكن والخادم، فقال سعيد: نكفيك مؤونة السفر، اغد فخذها منا. فكان الناس يقولون: إن إطفاء الشمعة أحسن من إعطائه المال، لئلا يرى في وجهه ذل المسألة!!

(1) الترمذي وقال: غريب وله شواهد.

بشرى للفقراء:

قال ابن رجب: وقد كان بعض الصحابة يظن ألا صدقة إلا بالمال، فأخبره النبي ◘ أن الصدقة لا تختص بالمال، وأن الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة كما في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبي ◘ قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال رسول الله ◘ :♂أو ليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة▬.

تصدق بعض الأغنياء بمال كثير، فبلغ ذلك طائفة من فقراء الصالحين، فاجتمعوا في مكان، وحسبوا ما تصدق به من الدراهم، وصلوا بدل كل درهم تصدق به لله ركعة !! هكذا يكون استباق الخيرات، والتنافس في علو الدرجات.

فسبحان من فضلَّ هذه الأمة وفتح لها على يدي نبيها أبواب الفضائل الجمة، فما من عمل عظيم يقوم به قوم ويعجز عنه آخرون، إلا وقد جعل الله لمن عجز عملاً يساويه ويفضل عليه، فتتساوى الأمة كلها في تحصيل الخيرات ونيل علو الدرجات.

مجالات الصدقة:

أخي المسلم: للصدقة مجالات عديدة جداً يصعب حصرها، ولكن يمكن الإشارة إلى بعض هذه المجالات على سبيل الاختصار:

* الإنفاق على الفقراء والمحتاجين وإسقاط الديون عن المدينين.

* بناء المساجد والإنفاق عليها وعلى الأئمة والمؤذنين والقائمين عليها.

* سقي الماء وحفر الآبار في الأماكن التي لا يصل إليها الماء.

* إطعام الطعام وشراء الملابس وتوزيعها.

* الإنفاق على طلب العلم وشراء الكتب والأدوات الدراسية لهم.

* طباعة الكتب والأشرطة الإسلامية وتوزيعها.

* توزيع المصحف الشريف على الشعوب الإسلامية في العالم.

* الإنفاق على حلقات تحفيظ القرآن الكريم ورصد المكافآت للطلاب والمدرسين.

* بناء المدارس ودور العلم والمستشفيات.

* بناء الملاجئ ودور الأيتام والمسنين والمساكن للغرباء من طلبة العلم وأبناء السبيل.

* الصدقة على فقراء الحجاج والمعتمرين والزوار وتوفير الطعام والشراب والمراكب لهم.

* الإنفاق على الأرامل والأيتام وكبار السن.

* الإنفاق على الجهاد والمجاهدين ودعم المستضعفين من المسلمين في كل مكان.

* مساعدة الشباب المسلم على الزواج.

* الإنفاق على الدعاة وإرسالهم إلى مشارق الأرض ومغاربها.

* رعاية الأقليات المسلمة في العالم، وربطهم بدينهم حتى لا تذوب هويتهم الإسلامية.

* تخصيص الأموال للحوائج والعوارض الطارئة كالحرائق والأمراض والكوارث والزلازل والسيول وغيرها.

* الإنفاق على مغاسل الأموات التي تقوم بتجهيز الموتى مجاناً.

أصحاب الهمم العالية:

أخي المسلم: صاحب الهمة العالية، والنفس الشريفة لا يرضى بالأشياء الدنية الفانية، وإنما همته المسابقة إلى الدرجات الباقية الذاكية التي لا تفنى، ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه في طلبه، ومن كان في الله تلفه، كان على الله خلفه.

قيل لبعض المجتهدين في الطاعات: لا تعذب هذا الجسد قال: كرامته أريد!

وإذا كانت النفوس كباراً ::: تعبت في مرادها الأجسام

من يهن يسهل الهوان عليه ::: ما لجرح بميت إيلام

قال عمر بن عبد العزيز: إن لي نفساً تواقة، ما نالت شيئاً إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، وأنها لما نالت هذه المنزلة - يعني الخلافة - يعني الآخرة.

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ::: وتأتي على قدر الكرام المكارم

قيمة كل إنسان ما يطلب، فمن كان يطلب الدنيا فلا أدنى منه، فإن الدنيا دنية، وأدنى منها من يطلبها، وأخس منها من يخطبها. قال بعضهم: القلوب جوالة، فقلب يجول حول العرش، وقلب يجول حول الحش.

العاقل يغبط من أنفق ماله في سبيل الخيرات ونيل علو الدرجات، والجاهل يغبط من أنفق ماله في الشهوات، وتوصل إلى اللذات والمحرمات.

العالي الهمة يجتهد في نيل مطلوبه، ويبذل ماله في الوصول إلى رضا محبوبه، فأما خسيس الهمة فاجتهاده في متابعة هواه، ويتكل على مجرد العفو، فيفوته - إن حصل له العفو - منازل السابقين.

قال بعض السلف: هب أن المسيء عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين ؟!

فيا مذنباً يرجو من الله عفوه أترضى بسبق المتقين إلى الله؟!

* * *

المفتاح الثالث:

صلة الأرحـــــام

معنى الرحم وصلة الرحم:

قال الراغب الأصفهاني: الرحم: رحـم المرأة.. ومنه استعير الرحم للقـرابة لكونهم خارجين من رحم واحدة.

والمراد بالرحم: الأقرباء في طرفي الرجل والمرأة من ناحية الأب والأم. ومعنى صلة الرحم: الإحسان إلى الأقارب في القول والفعل، ويدخل في ذلك زيارتهم، وتفقد أحوالهم، والسؤال عنهم، ومساعدة المحتاج منهم، والسعي في مصالحهم

فضل صلة الأرحام:

1- صلة الرحم من الإيمان:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂من كان يؤمن بالله واليوم الآخـر فليـكرم ضيفه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت▬(1).

أمور ثلاثة تحقق التعاون والمحبـة بين الناس وهي: إكرام الضيف وصـلة الرحـم والكلمة الطيبة. وقد ربط الرسول ◘ هذه الأمور بالإيمان فالذي يؤمن بالله واليوم الآخر لا يقطع رحمه، وصلة الرحم علامة على الإيمان.

---

(1) رواه البخاري.

2- صلة الرحم سبب للبركة في الرزق والعمر:

كل الناس يحبون أن يوسع لهم في الرزق، ويؤخر لهم في آجالهم لأن حب التملك وحب البقاء غريزتان من الغرائز الثابتة في نفس الإنسان، فمن أراد ذلك فعليه بصلة أرحامه.

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂من أحب أن يبسط له في رزقه، وينسأ له في أثره، فليصل رحمه▬(1).

عن علي رضي الله عنه عن النبي ◘ قال:♂من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، ويدفع عنه ميتة السوء، فليتق الله وليصل رحمه▬ (2) .

3- صلة الرحم سبب لصلة الله تعالى وإكرامه:

عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي ◘ أنه قال:♂الرحم معلقة بالعرش تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله▬(3).

وقد استجاب الله الكريم سبحانه، لها فمن وصل أرحامه وصله الله بالخير والإحسان ومن قطع رحمه تعرض إلى قطع الله إياه، وإنه لأمر تنخلع له القلوب أن يقطع جبار السموات والأرض عبدًا ضعيفاً فقيراً.

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه البزار والحاكم.

(3) رواه مسلم.

4- صلة الرحم من أسباب دخول الجنة:

فعن النبي ◘ أنه قال:♂يا أيها الناس أفشوا السلام أطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام▬(1) .

* * *

(1) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه.

فضل وثواب واصل الرحم في الدنيا والآخرة

لقد وعد الله ورسوله واصل الرحم بالفضل العظيم، والأجر الكبير، والثواب الجزيل، من ذلك:

أولاً: في الدنيا:

1- فهو موصول بالله عز وجل في الدنيا والآخرة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ◘ قال:♂إن الله خلق الخلق، حتى إذا فَرَغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة؛ قال: نعم، أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب؛ قال: فهو لك▬؛ قال رسول الله ◘ :♂اقرؤوا إن شئتم:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) } [محمد: ٢٢]▬.

2- يُبسط له في رزقه.

3- يُنسأ له في أجله - أن يزاد في عمره بسبب صلته لرحمه.

4- تعمر داره.

5- صلة الرحم تدفع عن صاحبها ميتة السوء.

6- يحبه الله.

7- يحبه أهله.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂من سـرَّه أن يُبسط له في رزقه، وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمـه▬(1).

وعن عائشة مرفوعاً إلى النبي ◘ :♂صلة الرحم، وحسن الجوار، وحسن الخلق يعمران الديار ويزيدان في الأعمار▬ (2)، ولأبي يَعْلى من حديث يرفعه:♂إن الصدقة وصلة الرحم يزيد الله بهما في العمر ويدفع بهما ميتة السوء▬ (3).

لا تعارض أخي الكريم بين هذه الأحاديث وبين قوله عز وجل:{ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (34) } [الأعراف: ٣٤]،

لأن هذه الزيادة وهي على حقيقتها بالنسبة إلى علم المَلَك الموكل بكتابة الأجل، وشقي أم سعيد، أما الآية فهذا بالنسبة إلى علم الله عز وجل، فعلم الله لا زيادة فيه ولا نقصان، ولكن يوحى للملك بأن عمر فلان ستون سنة، وبسبب صلته لرحمه يبلغ عمره ثمانين سنة مثلاً، وهو الذي أشار إليه ربنا بقوله:{ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (39) } [الرعد: ٣٩]،

وهنا شرع لمسألة القضاء المبرم والقضاء المعلق، ولهذا لا داعي لصرف اللفظ عن معناه الظاهر بأن المراد أن يبارك الله في عمره، والله أعلم.

---

(1) البخارى فى كتاب الأدب 5985.

(2) رواه أحمد بسنده رجاله ثقات.

(3) قال الحافظ: سنده ضعيف.

ثانياً: في الآخرة:

صلة الرحم سبب من أسباب دخول الجنة مع أول الداخلين، عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، أخبرني بعمل يدخلني الجنة؛ فقال النبي ◘ :♂تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصل الرحم▬ (1).

قطع الأرحام:

إن الإساءة إلى الأرحام، أو التهرب من أداء حقوقهم صفة من صفات الخاسرين

الذين قطعوا ما أمر الله به أن يوصل بل إن ذلك جريمة وكبيرة من كبائر الذنوب. وإن الإنسان منا ليسوؤه أشد الإساءة ما يراه بعينه أو يسمعه بأذنيه من قطيعة لأقرب الأرحام الذين فُطر الإنسان على حبهم وبرهم وإكرامهم، حتى أصبح من الأمور المعتادة أن نسمع أن أحد الوالدين اضطر إلى اللجوء للمحكمة لينال حقه من النفقة أو يطلب حمايته من ابنه، هذا الذي كان سبب وجوده.

ولا يفعل مثل هذا الجرم إلا الإنسان الذي قسا قلبه وقلَّت مروءته وانعدم إحساسه بالمسؤولية.

قاطع الرحم ملعون في كتاب الله:

قال الله تعالى:{ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (22) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (23) } [محمد: ٢٢ - ٢٣].

قال على بن الحسين لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواطن:

(1) البخارى فى كتاب الأد ب 5983.

قاطع الرحم من الفاسقين الخاسرين:

قال الله تعالى:{ ۞ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهْدِي بِهِ كَثِيراً ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ (26) الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ (27)} [البقرة: ٢٦ - ٢٧]

فقد جعل الله من صفات الفاسقين الخاسرين الضالين قطع ما أمر الله به أن يوصل ومن ذلك صلة الأرحام.

قاطع الرحم تعجل له العقوبة في الدنيا:

ولعذاب الآخرة أشد وأبقى:

عن أبي بكر رضي الله عنه عن رسول الله ◘ قال:♂ما من ذنب أجدر أن يعجل الله لصاحبه بالعقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم▬(1)..

وقد رأينا مصداق هذا في دنيا الواقع، فقاطع الرحم غالباً ما يكون تعباً قلقاً على الحياة، لا يبارك له في رزقه، منبوذاً بين الناس لا يستقر له وضع ولا يهدأ له بال.

(1) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂إن الله تعالى خلق الخلق حتى إذا فرغ منهم قامت الرحم فقالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة: قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت: بلى قال: فذلك لك▬(1). وما أسوأ حال من يقطع الله.. ومن قطعه الله فمن ذا الذي يصله؟

لماذا قست قلوبنا، وقطعنا صلة الأرحام...

* * *

(1) رواه البخاري.

عقوبة ووزر قاطع الرحم في الدنيا والآخرة

أولاً: في الدنيا:

1- لا يرفع له عمل ولا يقبله الله:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ النبي ◘ يقول:♂إن أعمال بني آدم تعرض على الله تبارك وتعالى عشية كل خميس ليلة الجمعة، فلا يقبل عمل قاطع رحم▬.

وفي رواية:♂تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس، فيغفر فيهما لمن لا يشرك بالله إلا المجاهرين▬ .

2- لا تنزل الرحمة على قوم فيهم قاطع.

الشر يعم والخير يخص، فلا تنزل رحمة على قوم فيهم قاطع رحم، ولهذا يجب التواصي ببر الآباء وصلة الأرحام، والتحذير من العقوق، فإذا فعلوا ذلك سلموا من هذه العقوبة.

عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنه عن النبي ◘ قال:♂إن الرحمة لا تنـزل على قوم فيهم قاطع رحم▬ (1). قال الطِّيبي في توجيه ذلك: (يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم، ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر، وأنه يحبس عن الناس بشؤم التقاطع، ولا يدخل في القوم عبد قطع من أمر الله بقطعه، لكن لو وصلوا بما يباح من أمر الدنيا لكان فضلاً،

(1) رواه البخاري في الأدب المفرد 63 والبيهقي في شعب الإيمان.

كما رق ◘ لأهل مكة لما سألوه برحمهم بعدما دعا عليهم بالقحط، وكما أذن لعمر ولأسماء رضي الله عنهما)(1) ببر أرحامهما من المشركين.

3- تعجيل العقوبة للعاق في الدنيا قبل الآخرة.

عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂ما من ذنب أحرى أن يعجل اللهُ لصاحبه العقوبة في الدنيا - مع ما يدِّخره له في الآخرة - من قطيعة الرحم والبغي▬ (2).

4- أبواب السماء مغلقة دون قاطع الرحم.

ثانياً: في الآخرة:

1- لا يدخل الجنة مع أول الداخلين.

قاطع الرحم لا يدخل الجنة مع أول الداخلين إن كان من الموحدين، ولكن بعد أن يطهره الله بالنار من تلك المخالفة، لأنه لا يبقى في النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

عن جبير بن مطعم رضي الله عنه أنه سمع النبي ◘ يقول:♂لا يدخل الجنة قاطع▬ .

وعن أبي موسى رضي الله عنه يرفعه إلى الرسول ◘ :♂لا يدخل الجنة مدمن خمر، ولا مصدِّق بسحر، ولا قاطع رحم▬.

2- لا تفتح له أبواب الجنة أولاً.

3- يدخر له من العذاب يوم القيامة مع تعجيل العقوبة في الدنيا إن لم يتب أو يتغمده الله برحمته.

---

(1) فتح البارى ج415/1.

(2) رواه أهل السنن أبو داود والترمذى وأحمد وابن حبان والبخارى فى الأدب المفرد رقم 67.

4- يُسف المَلّ، وهو الرماد الحار:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل النبي ، فقال: يا رسول الله، إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسنُ إليهم ويسيؤون إليّ، وأحلم عنهم، ويجهلون عليّ، قال: لئن كان كما تقول كأنما تسفُّهم المَلَّ، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمتَ على ذلك . قال النووي: (كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم).

بم توصل الرحم؟

الصلة تكون بالفعل وهو الإحسان، أو بالترك وهو كف الأذى، وهي درجات دنيا وعليا.

أولاً: صلة الرحم العامة:

وهي رحم الدين، ووشيجة التقوى، فإنها تحصل بالآتي:

1- التناصح والتشاور.

2- التوادد.

3- العدل والإنصاف.

4- القيام بالحقوق الواجبة والمستحبة على قدر الطاقة.

5- التعليم، والإرشاد، والتوجيه.

6- الأمر والنهي.

7- الشفاعة الحسنة.

8- تحمل الأذى.

9- كفُّ الأذى عنهم، وهذا أضعف الإيمان أن يكفَّ الإنسان أذاه عن إخوانه المسلمين.

ودعت آيات القرآن الكريم، وأحاديث النبي ◘ إلى صلة الرحم، ورغبت فيها أعظم الترغيب، وكان الترغيب دينياً ودنيوياً، ولا شك أن المجتمع الذي يحرص أفراده على التواصل والتراحم يكون حصناً منيعاً، وقلعـة صامدة، وينشأ عن ذلك أسر متماسكة، وبناء اجتماعي متين يمد العـالم بالقادة والموجهين والمفكرين والمعلمين والدعـاة والمصلحين الذين يحملون مشاعل الهداية ومصابيـح النور إلى أبناء أمتهم، وإلى الناس أجمعين.

الصلة الحقيقية أن تصل من قطعك:

المرء إذا زاره قريبه فرد له زيارته ليس بالواصل، لأنه يـكافئ الزيارة بمثـلها، وكذلك إذا ساعده في أمر وسعى له في شأن، أو قضى له حاجة فردّ له ذلك بمثله لم يكن واصلاً بل هو مكافئ، فالواصل حقاً هو الذي يصل من يقطعه، ويزور من يجفوه ويحسن إلى من أساء إليه من هؤلاء الأقارب.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه أن رسول الله ◘ قال:♂ليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا قطعت رحمه وصلها▬(1).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسـول الله إن لي قرابة أصلهـم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسيؤون إليّ، وأحلم عليهم ويجهلون عليّ فقال ◘ :♂إن كنت كما قلت فكأنما تُسِفهّم الملّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دمت على ذلك▬(2). والملّ: الرماد الحار،

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه مسلم.

قال النووي: يعني كأنما تطعمهم الرماد الحار، وهو تشبيه لما يلحقهم من الإثم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن إليهم لكن ينالهم إثم عظيم بتقصيرهم في حقه وإدخال الأذى عليه.

ففي الحديث عزاء لكثير من الناس الذين ابتلوا بأقارب سيئين يقابلون الإحسان بالإساءة ويقابلون المعروف بالمنكر فهؤلاء هم الخاسرون.

* * *

الخلاصة

صلة الأرحام سبب في زيادة الرزق وطول العمر.

صلة الرحم تدخل الجنة وتباعد عن النار.

صلة الرحم سبب لمغفرة الذنوب.

صلة الرحم أحب الأعمال إلى الله تعالى.

صلة الرحم تعمر الديار.

قاطع الرحم لا يدخل الجنة.

قاطع الرحم لا يقبل عمله.

قطيعة الرحم أبغض الأعمال.

* * *

المفتاح الرابع:

تقوى الله

معنى التقوى لغة:

الستر والصون والحذر اى وقاية وصيانة كما يقال: الوقاية خير من العلاج.

معنى التقوى شرعاً:

حفظ النفس عما يؤثم بامتثال أوامر الله واجتناب نواهيه تجنباً لعذابه.

قال ◘ فى حديثه لمعاذ بن جبل:♂اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن▬.

ومن تعريف التقوى:

(الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل).

وهناك تعريف عملي:

وهو أن تحذر:

أن يجدك الله حيث نهاك ::: أو يفتقدك حيث أمرك

قال تعالى:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٢ - ٣].

ولقد حثنا القرآن الكريم على تقوى الله فى آيات عديدة منها:

قال تعالى{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (18) } [الحشر: ١٨].

كيفية الوصول للتقوى:

فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك كله. وهو إما فعل الطاعات أو ترك المحرمات.

1- فعل الطاعات(الواجبات):

سأل رجل رسول الله ◘ فقال: (أرأيت إذا صليت المكتوبات وصمت رمضان وأحللت الحلال وحرمت الحرام ولم أزد على ذلك شيئا أأدخل الجنة؟ قال:♂نعم▬(1) .

2- ترك المحرمات والشبهات:

قال ◘ :♂من اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه▬.

وعن يزيد بن سلمة أنه سأل النبى ◘ فقال: يا رسول الله إنى سمعت منك حديثاً كثيراً فأخاف أن ينسينى أوله آخره فحدثنى بكلمة تكون جماعاً؟ قال:♂اتق الله فيما تعلم▬(2).

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه الترمذى.

من أقوال الصحابة:

قال معاذ بن جبل: يُنادى: أين المتقون؟ فيقومون فى كنف الرحمن لا يحتجب عنهم ولا يستتر.

وقال ابن مسعود فى قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)} [آل عمران: ١٠٢].

أن يطاع فلا يعصى. ويذكر فلا ينسى. ويشكر فلا يكفر.

من أقوال التابعين:

قال الحسن: ما زالت التقوى بالمتقين حتى تركوا كثيراً من الحلال مخافة الحرام.

وقال سفيان الثورى: إنما سموا متقين لأنهم اتقوا ما لا يتقى.

وقال ميمون بن مروان: التقى أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه.

تقوى الله في السر والعلن:

قال الحكم بن عمرو الغفاري: أقسم بالله لو أن السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد فاتقى الله يجعل الله من بينهما مخرجاً.

وقيل: عن حكيم بن حزام باع دار الندوة معاوية بمائة ألف، فقال له ابن الزبير: بعت مكرمة قريش ؟ فقال: ذهبت المكارم يا بن أخي إلا التقوى، إني اشتريت بها داراً في الجنة أشهدكم أني قد جعلتها لله.

قال فضالة بن عبيد: لأن أعلم أن الله تقبل مني مثقال حبة أحب إليّ من الدنيا وما فيها لأنه تعالى يقول:{ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) } [المائدة: ٢٧].

إن الحسن بن علي خطب فقال: إن أكيس الكيس التقى، وإن أحمق الحمق الفجور.

عن بكر المزني قال: لما كانت فتنة ابن الأشعث قال طلق بن حبيب: اتقوها بالتقوى قيل له: صف لنا التقوى فقال: العمل بطاعة الله على نور من الله رجاء ثواب الله، وترك معاصي الله على نور من الله مخافة عذاب الله.

ثواب المتقين:

1- معية الله.

قال تعالى:{ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (194)} [البقرة: ١٩٤].

2- حب الله.

قال تعالى:{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) } [التوبة: ٤].

3- تكفير السيئات.

قال تعالى{ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5) } [الطلاق: ٥].

4- تفريج الكرب وزيادة الرزق.

قال تعالى:{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٢، ٣].

5- الفرح والأمان.

قال تعالى{ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) } [الأعراف: ٣٥].

6- الجنة.

قال تعالى{۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)} [آل عمران: ١٣٣].

وقد يغلب استعمال التقوى على اجتناب المحرمات كما قال أبو هريرة رضي الله عنه وسئل عن التقوى فقال: هل أخذت طريقا ذا شوك ؟قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عزلت عنه أو جاوزته أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى.

وأخذ أحدهم هذا المعنى فقال:

خل الذنـوب صغيرهـا وكبيرهـا فهـو التقى

واصنـع كماشٍ فوق أرض الشوك يحذر ما يرى

وأصل التقوى أن يعلم العبد ما يتقى ثم يتقي. قال عون بن عبد الله رحمه الله: تمام التقوى أن تبتغي علم ما لم تعلم منها إلى ما علمت منها.

وذكر معروف الكرخي عن بكر بن خنيس رحمهما الله قال: كيف يكون متقياً من لا يدري ما يتقي. ثم قال معروف الكرخي: إذا كنت لا تحسن تتقي أكلت الربا وإذا كنت لا تحسن تتقي لقيتك امرأة ولم تغض بصرك وإذا كنت لا تحسن تتقي وضعت سيفك على عاتقك.

قال ابن رجب رحمه الله: وأصل التقوى أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه.

أهمية التقوى وميزاتها:

1- أن كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) تسمى كلمة التقوى:

{ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (26) } [الفتح: ٢٦].

2- أمر الله بها عباده عامة وأمر بها المؤمنين خاصة:

{ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (20) } [النحل: ٢].

{ وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (52) } [المؤمنون: ٥٢].

{ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16) } [الزمر: ١٦].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (102)} [آل عمران: ١٠٢].

{ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (10) } [النساء: ١].

3- وصية الأنبياء لقومهم

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (106) } [الشعراء: ١٠٦].

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (124) } [الشعراء: ١٢٤].

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (142) } [الشعراء: ١٤٢].

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ (161) } [الشعراء: ١٦١].

{ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (177) } [الشعراء: ١٧٧].

{ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (16) } [العنكبوت: ١٦].

* * *

ثمرات التقوى

محبة الله تعالى

{ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (40) } [التوبة: ٤٠].

{ كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِ إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۖ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (7) } [التوبة: ٧].

{ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)} [آل عمران: ٧٦].

رحمة الله تعالى في الدنيا والآخرة:

{ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) } [الأعراف: ١٥٦].

{ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (155) } [الأنعام: ١٥٥].

سبب لعون الله ونصره وتأييده:

{ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ (128) } [النحل: ١٢٨].

{ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (36) } [التوبة: ٣٦].

حصن الخائف وأمانه من كل ما يخاف ويحذر، من سوء ومكروه في الدنيا والآخرة:

{ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (35) } [الأعراف: ٣٥].

{ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61) } [الزمر: ٦١].

تبعث في القلب النور وتقوي بصيرته فيميز بين ما ينفعه وما يضره:

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (29) } [الأنفال: ٢٩].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (28) } [الحديد: ٢٨].

تعطي العبد قوة لغلبة الشيطان:

{ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ (201) } [الأعراف: ٢٠١].

وسيلة لنيل الأجر العظيم :

{ ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا (5) } [الطلاق: ٥].

{مَّا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاءُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (179) } [آل عمران: ١٧٩].

توسيع الرزق وفتح مزيد من الخيرات :

{ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (96) } [الأعراف: ٩٦].

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3) } [الطلاق: ٢ - ٣].

تفريج الكرب وتيسير الأمور:

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) } [الطلاق: ٢].

{ وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ ۚ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا (4)} [الطلاق: ٤].

{ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (5) وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (6) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (7)} [الليل: ٥ - ٧].

النصر على الأعداء ورد كيدهم والنجاة من شرهم :

{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)} [آل عمران: ١٢٠].

{ بَلَىٰ ۚ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (125) } [آل عمران: ١٢٥].

{ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (18) } [فصلت: ١٨].

العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة :

{ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (128) } [الأعراف: ١٢٨].

{ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ (49) } [هود: ٤٩].

{ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (83) } [القصص: ٨٣].

{ ۞ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا ۖ وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (35) } [الرعد: ٣٥].

{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا ۘ وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (212)} [البقرة: ٢١٢].

المتقون ينتفعون بالموعظة ويؤثر فيهم الذكر ويتفكرون في الآيات !!!

{ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ ۖ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (46) } [المائدة: ٤٦].

{ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (66)} [البقرة: ٦٦].

{ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ (138)} [آل عمران: ١٣٨].

{ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (34) } [النور: ٣٤].

{ يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ ۖ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)} [البقرة: ٢].

{ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ (48) } [الأنبياء: ٤٨].

{گ گ ں ں} [الحاقة: ٤٨].

التقوى صفة لأولياء الله وطريق لولايته عز وجل :

{ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ ۚ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (34) } [الأنفال: ٣٤].

{ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (19) } [الجاثية: ١٩].

{ أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (62) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (63) لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (64) } [يونس: ٦٢ - ٦٤].

التقوى هى الميزان الذي يقرب العبد من ربه ويدنيه:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) } [الحجرات: ١٣].

التقوى أفضل ما يتزود به العبد في طريقه إلى الله :

{ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ۚ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ (197)}

[البقرة: ١٩٧].

وعَنْ أَنَسٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ◘ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا فَزَوِّدْنِي قَالَ:♂زَوَّدَكَ اللَّهُ التَّقْوَى▬، قَالَ: زِدْنِي، قَالَ:♂وَغَفَرَ ذَنْبَكَ▬، قَالَ: زِدْنِي بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، قَالَ:♂وَيَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ▬(1)..

* * *

(1) رواه الترمذي. وحسنه الألباني.

من أسباب قبول العمل

{ ۞ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ (27) } [المائدة: ٢٧].

{ لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ ۗ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ (37) } [الحج: ٣٧].

القرآن بشرى للمتقين:

{ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا (97) } [مريم: ٩٧].

كل علاقات الأخلاء تنتهي يوم القيامة إلا علاقات المتقين:

{ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (67) } [الزخرف: ٦٧].

المتقون هم الفائزون:

{ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ (52) } [النور: ٥٢].

المتقون تنالهم رحمة الله:

{ ۞ وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ۚ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ۖ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (156) } [الأعراف: ١٥٦].

التقوى صفة للأنبياء:

{ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (33) } [الزمر: ٣٣].

التقوى سبب لنجاة العبد يوم القيامة:

{ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا (72) } [مريم: ٧٢].

{ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (61) } [الزمر: ٦١].

التقوى سبب لمغفرة الذنوب :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (28) } [الحديد: ٢٨].

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71) } [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

الكرم إنما يكون بالتقوى:

عَنْ سَمُرَةَ عَنْ النَّبِيِّ ◘ قَالَ:♂الْحَسَبُ الْمَالُ وَالْكَرَمُ التَّقْوَى▬(1).

تقوى الله سبب لتعلم العلم :

{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِن كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا ۚ

(1) رواه الترمذي وصححه الألباني.

وَلَا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا ۖ إِلَّا أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ۗ وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ ۚ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ۚ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (282)} [البقرة: ٢٨٢].

التقوى ثوابها الجنة :

{۞ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)} [آل عمران: ١٣٣].

{ ۞ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۚ قَالُوا خَيْرًا ۗ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ (30) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (31) } [النحل: ٣٠ - ٣١].

{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ (90) } [الشعراء: ٩٠].

{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ (34) } [القلم: ٣٤].

{ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (31) } [ق: ٣١].

{ مَّثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ (15) } [محمد: ١٥].

{ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ (73) } [الزمر: ٧٣].

نـــــــداء:

أيها المهموم، وأيها المريض، وأيها المديون، ويا كل مهموم:

{ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)} [الطلاق: ٢ - ٣].

وعن أبي العباس عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: " كنت خلف النبي ◘ يوماً، فقال:♂يا غلام، إني أُعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سأَلت فاسأَل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأُمة لو اجتمعت على أَن ينفعـوك بشيء، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف▬ (1).

هل عرفت ما هو العلاج ؟ إنه تقوى الله عز وجل إنها القرب من الله بالأعمال الصالحة.

هل عرفت من بيده كل شئ من يصرف الأمر؟ إنه الله جل جلاله بعد هذه الآية لماذا نسأل غير الله؟ ولماذا ندعو غيره وهو من بيده الأمر؟ فلنغير الحال بالتوبة النصوح تقوى الله عز وجل ربما يسأل أحدكم كيف نكون من المتقين ؟

وإليك بارك الله فيك من الوصايا التي تجعلك بإذن الله من المتقين:

---

(1) رواه الترمذي وقال: " حديث حسن صحيح ".

1- معرفة الله سبحانه والإيمان به .

2- الإيمان بالغيب .

3- ومن أسبابها إتباع الهدى الذي جاء به الكتاب والسنة، قال تعالى:{ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (153) } [الأنعام: ١٥٣].

4- المحافظة على الفرائض والإكثار من النوافل.

5- الإيمان بالقضاء والقدر والاتعاظ والاعتبار بالأقدار.

6- امتثال أحكام الدين واجتناب الأسباب التي توقع في المعصية والانحرافات.

7- والحذر من كل ما يبعد عن الله سبحانه.

8- ومن أسباب حصول التقوى تعظيم شعائر الله، قال تعالى:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) } [الحج: ٣٢](1).

فلنبادر بالأعمال التي تقربنا من الله عز وجل وكلما تقربنا من الله عز وجل كلما زادت سعادتنا في الدنيا والآخرة أسأل الله أن يجعلنا من المتقين الذين لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون وأن يسعدنا ويرزقنا الجنة وما قرب إليها من قول وعمل.

قال الذهبي: أبدع وأوجز فلا تقوى إلا بعمل ولا عمل إلا بتروٍّ من العلم والاتباع، ولا ينفع ذلك إلا بالإخلاص لله، لا يقال فلان ترك المعاصي بنور الفقه، إذ المعاصي يفتقر اجتنابها إلى معرفتها، ويكون الترك خوفاً من الله لا ليمدح بتركها فمن داوم على هذه الوصية فقد فاز.

عن ميمون بن مهران قال: لا يكون الرجل تقياً حتى يكون لنفسه أشد محاسبة من الشريك لشريكه، وحتى يعلم من أين ملبسه ومطعمه ومشربه.

---

(1) الحج: 32.

قال رجل لميمون بن مهران: يا أبا أيوب لا يزال الناس بخير ما أبقاك الله لهم. قال: أقبل على شأنك، ما يزال الناس بخير ما اتقوا ربهم.

عن يزيد بن كميت سمع رجلاً يقول لأبي حنيفة: اتق الله، فانتفض واصفر وأطرق وقال: جزاك الله خيراً ما أحوج الناس كل وقت إلى من يقول لهم مثل هذا.

عن ابن عيينة قال: قال رجل لمالك بن مغول: اتق الله، فوضع خده على الأرض.

عن الفضيل: لا يكون العبد من المتقين حتى يأمنه عدوه.

قال سعيد بن الحداد: سمعت سحنون يقول: كنت إذا سألت ابن القاسم عن المسائل، يقول لي: يا سحنون، أنت فارغ، إني لأحس في رأسي دوياً كدوي الرحال - يعني من قيام الليل - قال: وكان قلما يعرض لنا إلا وهو يقول: اتقوا الله، فإن قليل هذا الأمر مع تقوى الله كثير، وكثيره مع غير تقوى الله قليل.

وقال جشم بن عيسى: سمعت عمي معروف بن الغيرازان يقول: سمعت بكر ابن خنيس يقول: كيف تتقي وأنت لا تدري ما تتقي ؟ رواها أحمد الدورقي عن معروف. قال: ثم يقول معروف: إذا كنت لا تحسن تتقي، أكلت الربا، ولقيت المرأة فلم تغض عنها، ووضعت سيفك على عاتقك، إلى أن قال: ومجلسي هذا ينبغي لنا أن نتقيه، فتنة للمتبوع، وذلة للتابع.

وعن الشافعي قال: من لم تُعزه التقوى، فلا عز له.

وعن الشافعي: أنفع الذخائر التقوى، وأضره العدوان.

وعن أبي سليمان الداراني: التقوى ألا يراك الله حيث نهاك، ولا يفقدك حيث أمرك.

عن أبي عبيد: دخلت البصرة لأسمع من حماد بن زيد، فقدمت فإذا هو قد مات، فشكوت ذلك إلى عبد الرحمن بن مهدي فقال: مهما سُبقت به، فلا تُسبقن بتقوى الله.

قال يحيى بن معين:

المالُ يذهب حِله وحرامُه ::: يوماً وتبقى في غدٍ آثامه

ليس التقي بمتقٍّ لإلهه ::: حتى يطيبَ شرابُه وطعامُه

ويطيب ما يحوي وتكسب كفُه ::: ويكون في حُسْنِ الحديث كلامُه

نطق النبي لنا به عن ربه ::: فعلى النبي صلاتهُ وسلامُه

* * *

المفتاح الخامس:

الهجرة في سبيل الله

والمقصود بها: الهجرة من مكان كله معاصٍ وفسق إلى مكان تستطيع أن تأمن فيه على دينك وعبادتك... فلا تساكن الفجار والفساق وتطلب من الله سعة الرزق إلا أن تكون آمنا على عبادتك وغير متأثر بهم...

قال تعالى } ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (100) [النساء: ١٠٠].

أسلم بعض فتيان مكة، وأظهروا للنبي ◘ الإيمان به، فلما هاجر النبي ◘ إلى المدينة المنورة تخلفوا عنه فلم يهاجروا، وأقاموا مع قومهم، وفُتن منهم جماعة، فافتتنوا. فلما كانت غزوة بدر خرج منهم قوم مع الكفار رغبةً أو رهبة، فلما التقى المسلمون والكافرون استحقر هؤلاء عدد المسلمين واستقلّوهم وداخلهم شك في الدين الحق فارتدّوا، وقاتلوا في صف الكفار فقُتلوا.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله ■، يأتي السهم فيُرمى به، فيصيب أحدهم، فيقتله أو يُضرَب فيُقتل، فأنزل الله تعالى:{ تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيراً (97) إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا (98) فَأُولَٰئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا (99) } [النساء: ٩٧ - ٩٩].

فأصحاب الدعوة المؤمنون بها ينشطون في الدعوة إليها، ويقربونها إلى الناس، وينافحون عنها بالطرق الصحيحة المتاحة، ولا يألون جهداً، ولا يوفّرون طاقة في نشرها والذّود عنها، ويتحملون في سبيلها الأذى والمشقة، فإذا ضاق عليهم الأمر، وخافوا على أنفسهم القتل أو السجن والتعذيب، أو الفتنة والنكوص على الدعوة وجبت عليهم الهجرة إلى بلد يأمنون فيه على أنفسهم، وينجون فيه من السوء ويحافظون فيه على دينهم وإلا كانوا ممن ظلم نفسه، وكلّفها ما لا تطيق من احتمال المساءة والأذى، وقد قال سعيد بن جبير: إذا عُمِل بالمعاصي في أرض فاخرج منها، وتلا:{ تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيراً (97)} [النساء: ٩٧].

ورُويَ عن النبي ◘ أنه قال:♂من فرَّ بدينه من أرضٍ إلى أرض وإن كان شبراً استوجب الجنة، وكان رفيق إبراهيم ومحمد▬ عليهما صلوات الله وسلامه. أما من خاف على نفسه فترك الدعوة، أو تخلّى عنها، أو ركن إلى أعدائها ثم كان عليها:{ تعالى إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ ۚ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ۚ فَأُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (97)} [النساء: ٩٧]

إلا من كان ضعيفاً لا يستطيع السفر ولا يتمكن من الهجرة، ولا يستطيع الفرار بدينه فـ:{ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)} [البقرة: ٢٨٦]

وعسى الله تعالى أن يعفو عنهم، ويغفر لهم.

والهجرة في سبيل الله تعالى - إن حاق الظلم بأرض - واجبة، وفيها فوائد كثيرة. قال تعالى:{ ۞ وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا (100) } [النساء: ١٠٠].

الفوائـــد:

1- أن المهاجر يأمن على نفسه فيظهرُ الحقَ، لا يخاف أن يظفر به عدوّه، ويجهرُ بالدعوة دون أن تطاله اليد الآثمة التي اعتادت وأد الحقّ، وحرصت على كتمه، ويُحزن الظالمَ حين يكشف جرائمه، ويعرّيه، ويصرح برأيه غير هيّاب ولا وجل، فهو في منعة منهم، وسلام من غوائلهم.

2- أن الله تعالى يوسع عليه في الرزق، وفي سبل العيش، ومعرفة الحياة، قال قتادة: إنها سعة من الضلالة إلى الهدى، ومن العَيْلةِ إلى الغنى. وقال مالك: السعة سعة البلاد، فسعة الأرض تؤدي إلى كثرة الرزق واتساع الصدر لهمومه وأفكاره وغير ذلك من وجوه الفرج.

قال الشاعر:

وكنت إذا خليلٌ رام قطعي ::: وجدتُ وراءَ منفسحاً عريضاً

وقال آخر:

لكان لي مضطرب واسع ::: في الأرض ذات الطول والعرض

3- أنه لا ينبغي لمسلم أن يمكث في أرض يسبُّ فيها السلف، ويُعمل فيها بغير الحق، قال تعالى:{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) } [الأنعام: ٦٨]

هذا بعد التذكرة والحجة والتنبيه إلى خطورة ما يخوضون فيه، وإصرارهم على التكذيب والإيذاء، وإمعانهم في الضلالة والسفاهة. قال تعالى:{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (29) ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ (30) } [النجم: ٢٩ - ٣٠].

4- أنّ الذين يتركون بلادهم التي ألفوها وشربوا من مائها وتنسّموا هواءها وامتزجوا في ترابها، وتعلقت قلوبهم بها - ففي كل زاوية ذكرى، وكل منعطف مأوى، وكل دقيقة لهفة وتعلّق بها.. - هؤلاء الذين تركوها لله سبحانه وتعالى، وانسلخوا عن دورهم وأملاكهم وحقولهم ومتاجرهم، وأهلهم وأحبابهم ابتغاء مرضاته، هؤلاء الذين هجروا كل غال ونفيس في الدنيا ابتغاء مرضاة الله سبحانه، ثم ماتوا إنّ أجرهم لكبير، وثوابهم لخطير.. إنهم تركوا كل شيء لله سبحانه، وهو الكريم فسيعطيهم ما تقرُّ به عيونهم وترتاح له نفوسهم، فما فعلوه عظيم، يدل على عمق إيمانهم، وسمّو نفوسهم، وليكوننّ الثواب وليكوننّ الأجر عظيمين كذلك، وهل هناك أفضل من رحمة الله وغفرانه؟!!

وقد قسّم العلماء الذهاب في الأرض قسمين. الأول: هرب، والثاني: طلب.

أما الأول: - الهرب - فينقسم إلى ستة أقسام:

1- الهجرة، وهي الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام، وكانت فرضاً في أيام النبي ◘، وما تزال باقية مفروضة إلى يوم القيامة. فَمَنْ أسلم في دار الحرب وجب عليه الخروج إلى دار الإسلام ليقوى بإخوانه ويأمن على نفسه، أما إذا لم يجد الأذى في بلده وكان باستطاعته الحفاظ على دينه والدعوة إليه وجب البقاء فيه، ليكون نبراساً ومثلاً يحتذى، وعاملاً إيجابياً لهذا الدين يقتفى.

2- الخروج من أرض البدعة التي تسلّط عليها من يدّعي الإسلام لكنه يحرّفه، ويزاول المنكرات ويدعو إليها باسم التقدّم تارة، ومسايرة ركب الحضارة الزائفة تارة أخرى. قال ابن العربي: إن المنكر إذا لم تقدر أن تغيّرَه فَزُلْ عنه. وقال تعالى:{ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (68) } [الأنعام: ٦٨].

3- الخروج من أرض غلب عليها الحرام من مأكل ومشرب وحديث وشعارات برّاقة لا تمتّ إلى الإسلام بصلة، ومعاملات غلب عليها طابع التغريب والتشريق، وإجهاض كل دعوة نظيفة شريفة تقيم حياة أفرادها على تقوى من الله ورضوان.. إن طلب الحلال فرض على كل مسلم، فمن رأى نفسه وأسرته يعيشون في مجتمع منحل فاسد يكاد يعصف بهم، فعليه الرحيل إلى مجتمع نظيف طيب طاهر.

4- الفرار من الأذيّة في البدن، وهذا فضل من الله تعالى أرخص فيه، فإذا خشي الإنسان على نفسه فقد أذن الله تعالى له في الخروج من البلد الذي قد يسجن فيه ويعذّب، وأول ما فعله إبراهيم عليه السلام حين خاف ذلك العذاب أن انطلق إلى شمال العراق قائلاً:{د ﮫ ﯪ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ} [الصافات: ٩٩] ،{ ۞ فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ ۘ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي ۖ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (26) } [العنكبوت: ٢٦]

وقال الله مخبراً عن موسى عليه السلام:{ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) } [القصص: ٢١].

5- خوف المرض في البلاد الوَخِمة والخروج منها إلى الأرض النّزهة. وقد أذن رسول الله ◘ للرعاة حين استوخموا المدينة أن يخرجوا إلى ظاهرها حتى يصحوا وتتعافى أجسادهم.

وقد استُثني من ذلك الخروج من الطاعون، فمنع الله سبحانه منه بالحديث الصحيح عن نبيّه الكريم ◘ الذي رواه أسامة بن زيد رضي الله عنه في شرح قوله تعالى في سورة البقرة:{ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (243)} [البقرة: ٢٤٣]

حين ذكر الوجع فقال:♂رجز أو عذاب عُذّب به بعض الأمم، ثم بقي منه بقيّة، فيذهب المرّة، ويأتي الأخرى، فمن سمع به بأرض فلا يقدِمنّ عليه، ومن كان بأرض وقع بها فلا يخرج فراراً منه▬ (1). وهو الطاعون.

6- الفرار خوف الأذيّة في المال، فإن حرمة مال المسلم كحرمة دمه، والأهل مثله.

وأما الثاني: الطلب، فإنه ينقسم إلى قسمين: طلب دين وطلب دنيا. ويتعدد بتعدّد أنواعه إلى تسعة أقسام.

1-سفر العبرة والعظة، قال تعالى:{ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ۖ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (9) } [الروم: ٩]

وهو كثير في القرآن، ويقال: إن ذا القرنين إنما طاف الأرض ليرى عجائبها، وقيل لينفذ الحق فيها.

---

(1) أخرجه الترمذي.

2- سفر الحج والأول وإن كان ندباً فالحج الفرض الخامس من فروض الإسلام لمن استطاع إليه سبيلاً.

3- سفر الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حرماته، ودعوة الناس إلى الحق، وقتال من يمنع ظهوره، وقد قال ربعي بن عامر رضي الله عنه لرستم قائد الفرس: إن الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس، ومن ظلم الجاهلية إلى عدل الإسلام، والجهاد ذروة سنام الإسلام.

4- سفر المعاش، وطلب الرزق:{ ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (20) } [المزمل: ٢٠]

وقد يتعذر على المرء معاشه مع الإقامة، فيخرج في طلبه، لا يزيد عليه من تجارة وصيد وما شابه ذلك، وهو فرض عليه فلا يمد يده للناس.

5- سفر التجارة والكسب الزائد من المال والقوت، وهو جائز، فقد قال سبحانه:{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)} [البقرة: ١٩٨]

وهي - التجارة - نعمة من نعم الله في الحج فكيف إذا انفردت.

6- السفر في طلب العلم أو البحث والاستكشاف، وصاحبه ذو همة عالية، يدع الراحة وطيب الإقامة ليحصل العلم الديني والدنيوي، فينفع نفسه، وينفع المسلمين به، والأحاديث كثيرة في هذا الباب تحث المسلمين على طلبه أينما كان.

7- قصد البقاع، قال ◘ :♂لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى▬ لما في ذلك من الأجر والثواب.

8- الالتحاق بالثغور والرباط فيها وتكثير سوادها للذب عنها، وإخافة أعداء الله. قال ◘ :♂عينان لا تمسهما النار، عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله▬ .

9- زيارة الإخوان في الله تعالى، قال رسول الله ◘ حاثاً على الرباط الأخوي والصلة في الله :♂زار رجل أخاً له في قرية، فأرصد الله له ملكاً على مَدرجته، فقال: أين تريد؟ قال أريد أخاً لي في هذه القرية. قال: هل لك من نعمة تربّها عليه؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله عزّ وجل. قال: فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه▬ رواه مسلم وغيره.

وهكذا نجد للهجرة فوائد في الدنيا والآخرة، حين يُحِسُّ المسلم وهو مهاجر بمعيّة الله تعالى، وفضله عليه وكرمه سبحانه.

ومهما طالت الهجرة في الله فهي نعمة خصّها الله عباده الذين أحبهم وأحبوه، وأمرهم فأطاعوه، ولئن ظنّ أحدهم أن هجرته قد أضرّت به، وأساءت إليه لقد ضعف إيمانه، واستحوذ عليه شيطانه.

مفاهيم وآثار:

من أحداث الإسلام البارزة حدث الهجرة النبوية المباركة، ذلك الحدث الذي غيَّر الله به حال المسلمين في الجيل الأول من الضعف إلى القوة ومن الشتات إلى الدولة ذات العزة والقوة والمنعة.

ولم تكن هجرة النبي ◘ أمراً اقتضته ظروفٌ معينة وأسبابٌ خاصة فحسب، بل هي سمةٌ بارزةٌ وخصيصةٌ تكاد أن تكون ملازمة لطريق الأنبياء في الدعوة إلى الله وإقامة منهجه عبر تاريخ البشرية الطويل، وهي صورة من صور المواجهة بين الأنبياء وخصومهم في المعركة الدائمة بين الحق والباطل، قال الله تعالى:{ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ۚ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (13) } [إبراهيم: ١٣].

*** وقد أُخرج نبي الله إبراهيم عليه السلام{ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا (46) } [مريم: ٤٦].**

*** وهاجر نبي الله موسى عليه السلام فاراً بدينه من طغيان فرعون وجبروته، قال الله تعالى:{ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ (20) فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (21) } [القصص: ٢٠ - ٢١].**

وخاتم الأنبياء محمد ◘ كان أمر الهجرة عنده واضحاً منذ الأيام الأولى من البعثة، عندما قال له ورقة بن نوفل: يا ليتني فيها جذعاً، (ليتني أكون حياً إذ يُخرجك قومك)، قال:♂أو مخرجي هم ؟▬، قال: (نعم لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي)(1)، وقال الله تعالى له:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) } [الأنفال: ٣٠].

ثمار الهجرة:

فالهجرة في سبيل الله شأنها عظيم وأمرها كبير، فهي ثمرة من ثمرات الإيمان بالله عز وجل وتوحيده والخضوع لأمره، بل هي من أبرز تكاليف الولاء والبراء، الذي هو شرط لا يتحقق التوحيد بدونه.

والهجرة في أصل شرعيتها انتصارٌ للإيمان واستعلاء به وتخليص للنفس المؤمنة من أسر الطغيان وقيود الكفر، وذلك لأن الإسلام دين العزة.

ولا تؤتي الهجرة ثمارها التي أرادها الله عز وجل إلا إذا كانت على منهج الجيل الأول.

فوائد ودروس وعبر من هجرة سيد البشر ◘ :

---

(1) رواه البخاري.

1- الهجرة من سنن الرسل الكرام:

إن الهجرة في سبيل الله سنة قديمة، ولم تكن هجرة نبينا محمد ◘ بدعاً في حياة الرسل لنصرة عقائدهم، فلئن كان قد هاجر من وطنه ومسقط رأسه من أجل الدعوة حفاظاً عليها وإيجاد بيئة خصبة تتقبلها وتستجيب لها وتذود عنها، فقد هاجر عدد من إخوانه من الأنبياء قبله من أوطانهم لنفس الأسباب التي دعت نبينا للهجرة.

وذلك أن بقاء الدعوة في أرض قاحلة لا يخدمها بل يعوق مسارها ويشل حركتها، وقد يعرضها للانكماش داخل أضيق الدوائر، وقد قص علينا القرآن الكريم نماذج من هجرات الرسل وأتباعهم من الأمم الماضية لتبدو لنا في وضوح سنة من سنن الله في شأن الدعوات يأخذ بها كل مؤمن من بعدهم إذا حيل بينه وبين إيمانه وعزته، واستخف بكيانه ووجوده واعتدي على مروءته وكرامته.

2 - الصراع بين الحق والباطل صراع قديم وممتد:

وهو سنة إلهية نافذة، قال عز وجل:{ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ (40) } [الحج: ٤٠]

(ولكن هذا الصراع معلوم العاقبة:{ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ (21) } [المجادلة: ٢١].

3- مكر خصوم الدعوة بالداعية أمر مستمر متكرر، سواء عن طريق الحبس أو القتل أو النفي والإخراج من الأرض، وعلى الداعية أن يلجأ إلى ربه وأن يثق به ويتوكل عليه ويعلم أن المكر السيئ لا يحيق إلا بأهله، كما قال عز وجل:{ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (30) } [الأنفال: ٣٠].

ومن مكر أهل الباطل وخصوم الدعوة: استخدام سلاح المال لإغراء النفوس الضعيفة للقضاء على الدعوة والدعاة ولذلك رصدوا مائة ناقة لمن يأتي بأحد المهاجرين حياً أو ميتاً، فتحرك الطامعون ومنهم سراقة، الذي عاد بعد هذه المغامرة الخاسرة مادياً بأوفر ربح وأطيب رزق، وهو رزق الإيمان، وأخذ يعمي الطريق على الطامعين الآخرين الذين اجتهدوا في الطلب، وهكذا يرد الله عن أوليائه والدعاة، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ (36) } [الأنفال: ٣٦].

4- الإيمان بالمعجزات الحسية:

وفي هجرة النبي ◘ وقعت معجزات حسية، وهي دلائل ملموسة على حفظ الله ورعايته لرسول الله ◘، ومن ذلك - على ما روي - نسيج العنكبوت على فم الغار، ومنها ما جرى لرسول الله ◘ مع أم معبد، وما جرى له مع سراقة، ووعده إياه بأن يلبس سواري كسرى، فعلى الدعاة ألا يتنصلوا من هذه الخوارق، بل يذكروها ما دامت ثابتة بالسنة النبوية، على أن ينبهوا الناس على أن هذه الخوارق هي من جملة دلائل نبوته ورسالته عليه السلام.

5 - جواز الاستعانة بالكافر المأمون:

ويجوز للدعاة أن يستعينوا بمن لا يؤمن بدعوتهم ما داموا يثقون بهم ويأتمنوهم على ما يستعينون به معهم، فقد رأينا أن النبي ◘ وأبا بكر استأجرا مشركاً ليدلهم على طريق الهجرة ودفعا إليه راحلتيهما وواعداه عند غار ثور، وهذه أمور خطيرة أطلعاه عليها، ولا شك أن النبي ◘ وصاحبه وثقا به وأمناه، مما يدل على أن الكافر أو العاصي أو غير المنتسب إلى الدعاة قد يوجد عند هؤلاء ما يستدعي وثوق الدعاة بهم، كأن تربطهم رابطة القرابة أو المعرفة القديمة أو الجوار أو عمل معروف كان قد قدمه الداعية لهم. أو لأن هؤلاء عندهم نوع جيد من الأخلاق الأساسية مثل الأمانة وحب عمل الخير إلى غير ذلك من الأسباب، والمسألة تقديرية يترك تقديرها إلى فطنة الداعي ومعرفته بالشخص.

6 - دور المرأة في الهجرة:

وقد لمعت في سماء الهجرة أسماء كثيرة كان لها فضل كبير ونصيب وافر من الجهاد: منها عائشة بنت أبي بكر الصديق التي حفظت لنا القصة ووعتها وبلغتها للأمة، وأم سلمة المهاجرة الصبور، وأسماء ذات النطاقين التي ساهمت في تموين الرسول ◘ وصاحبه في الغار بالماء والغذاء، وكيف تحملت الأذى في سبيل الله فقد حدثتنا عن ذلك فقالت: لما خرج رسول الله ◘ وأبو بكر رضي الله عنه أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام، فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا بنت أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي؟ قالت: فرفع أبو جهل يده - وكان فاحشاً خبيثاً - فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي قالت: ثم انصرفوا.

فهذا درس من أسماء رضي الله عنها تعلمه لنساء المسلمين جيلاً بعد جيل كيف تخفي أسرار المسلمين من الأعداء، وكيف تقف صامدة شامخة أمام قوى البغي والظلم وأما درسها الثاني البليغ، فعندما دخل عليها جدها أبو قحافة، وقد ذهب بصره، فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه، قالت: كلا يا أبت، ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه، فقال: لا بأس، إذا كان ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم. ولا والله ما ترك لنا شيئاً، ولكني أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

وبهذه الفطنة والحكمة سترت أسماء أباها، وسكنت قلب جدها الضرير، من غير أن تكذب، فإن أباها قد ترك لهم حقاً هذه الأحجار التي كومتها لتطمئن لها نفس الشيخ! إلا أنه قد ترك لهم معها إيماناً بالله لا تزلزله الجبال، ولا تحركه العواصف الهوج، ولا يتأثر بقلة أو كثرة في المال، وورثهم يقيناً وثقة به لا حد لها، وغرس فيهم همة تتعلق بمعالي الأمور، ولا تلتفت إلى سفاسفها، فضرب بهم للبيت المسلم مثالاً عز أن يتكرر، وقل أن يوجد نظيره.

لقد ضربت أسماء رضي الله عنها بهذه المواقف لنساء وبنات المسلمين مثلاً هن في أمس الحاجة إلى الاقتداء به، والنسج على منواله.

وظلت أسماء مع إخوتها في مكة، لا تشكو ضيقاً، ولا تظهر حاجة، حتى بعث النبي ◘ زيد بن حارثة وأبا رافع مولاه، وأعطاهما بعيرين وخمسمائة درهم إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة بنت زمعة زوجه، وأسامة بن زيد، وأم بركة المكناة بأم أيمن، وخرج معهما عبد الله بن أبي بكر بعيال أبي بكر، فيهم عائشة وأسماء، فقدموا المدينة، فأنزلهم في بيت حارثة بن النعمان.

7 - أد الأمانة إلى من ائتمنك ، كانت أمانات المشركين عند رسول الله ◘:

وفي إيداع المشركين ودائعهم عند رسول الله ◘ مع محاربتهم له وتصميمهم على قتله دليل باهر على تناقضهم العجيب الذي كانوا واقعين فيه، ففي الوقت الذي كانوا يكذبونه ويزعمون أنه ساحر أو مجنون أو كذاب لم يكونوا يجدون فيمن حولهم من هو خير منه أمانة وصدقاً، فكانوا لا يضعون حوائجهم ولا أموالهم التي يخافون عليها إلا عنده! وهذا يدل على أن كفرانهم لم يكن بسبب الشك لديهم في صدقه، وإنما بسبب تكبرهم واستعلائهم على الحق الذي جاء به، وخوفاً على زعامتهم وطغيانهم، وصدق الله العظيم:{ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ (33) } [الأنعام: ٣٣].

وفي أمر الرسول ◘ لعلي رضي الله عنه بتأدية هذه الأمانات لأصحابها في مكة، رغم هذه الظروف الشديدة التي كان من المفروض أن يكتنفها الاضطراب، بحيث لا يتجه التفكير إلا إلى إنجاح خطة هجرته فقط، رغم ذلك فإن الرسول ◘ ما كان لينسى أو ينشغل عن رد الأمانات إلى أهلها، حتى ولو كان في أصعب الظروف التي تنسي الإنسان نفسه فضلاً عن غيره.

8 - اليد العليا في الدعوة خير من اليد السفلى:

لم يقبل رسول الله ◘ أن يركب الراحلة حتى أخذها بثمنها من أبي بكر رضي الله عنه واستقر الثمن ديناً بذمته، وهذا درس واضح بأن حملة الدعوة ما ينبغي أن يكونوا عالة على أحد في وقت من الأوقات، فهم مصدر العطاء في كل شيء.

إن يدهم إن لم تكن العليا فلن تكن السفلى، وهكذا يصر عليه السلام أن يأخذها بالثمن وسلوكه ذلك هو الترجمة الحقة لقوله تعالى:{ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ (109) } [الشعراء: ١٠٩].

إن الذين يحملون العقيدة والإيمان ويبشرون بهما ما ينبغي أن تمتد أيديهم إلى أحد - إلا الله - لأن هذا يتناقض مع ما يدعون إليه وقد تعود الناس أن يعوا لغة الحال لأنها أبلغ من لغة المقال، وما تأخر المسلمون وأصابهم ما أصابهم من الهوان إلا يوم أصبحت وسائل الدعوة والعاملين بها خاضعة للغة المادة، ينتظر الواحد منهم مرتبه، ويومها تحول العمل إلى عمل مادي فقد الروح والحيوية والوضاءة، وأصبح للأمر بالمعروف موظفون، وأصبح الخطباء موظفين، وأصبح الأئمة موظفين.

إن الصوت الذي ينبعث من حنجرة وراءها الخوف من الله والأمل في رضاه غير الصوت الذي ينبعث ليتلقى دراهم معدودة، فإذا توقفت توقف الصوت، وقديماً قالوا: ليست النائحة كالثكلى ولهذا قل التأثير وبعد الناس عن جادة الصواب.

9 - عفة الداعية عن أموال الناس:

لما عفا النبي ◘ عن سراقة عرض عليه سراقة المساعدة فقال: (وهذه كنانتي فخذ منها سهماً فإنك ستمر بإبلي وغنمي في موضع كذا وكذا فخذ منها حاجتك فقال رسول الله ◘ :♂لا حاجة لي فيها▬.

فحين يزهد الدعاة فيما عند الناس يحبهم الناس، وحين يطمعون في أموال الناس ينفر الناس عنهم، وهذا درس بليغ للدعاة إلى الله تعالى.

10 - جندية منقطعة النظير:

تظهر أثر التربية النبوية في جندية أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما، فأبو بكر رضي الله عنه عندما أراد أن يهاجر إلى المدينة وقال له رسول الله ◘ :♂لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحباً▬ فقد بدأ في الإعداد والتخطيط للهجرة (فابتاع راحلتين واحتبسهما في داره يعلفهما إعداداً لذلك) وفي رواية البخاري، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر - وهو الخبط - أربعة أشهر). لقد كان يدرك بثاقب بصره رضي الله عنه وهو الذي تربى ليكون قائداً، إن لحظة الهجرة صعبة قد تأتي فجأة ولذلك هيأ وسيلة الهجرة، ورتب تموينها، وسخر أسرته لخدمة النبي ◘، وعندما جاء رسول الله ◘ وأخبره أن الله قد أذن له في الخروج والهجرة، بكى من شدة الفرح وتقول عائشة رضي الله عنها في هذا الشأن: فوالله ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحداً يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ، إنها قمة الفرح البشري؛ أن يتحول الفرح إلى بكاء، كما قال الشاعر عن هذا:

ورد الكتاب من الحبيب بأنـه ::: سيزورني فاستعبرت أجفاني

غلب السرور علي حتى إنـني ::: من فرط ما قد سرني أبكاني

يا عين صار الدمع عندك عادة ::: تبكين من فرح ومن أحزاني

فالصديق رضي الله عنه يعلم أن معنى هذه الصحبة، أنه سيكون وحده برفقة رسول رب العالمين بضعة عشر يوماً على الأقل وهو الذي سيقدم حياته لسيده وقائده وحبيبه المصطفى ◘ فأي فوز في هذا الوجود يفوق هذا الفوز؟ أن يتفرد الصديق وحده من دون أهل الأرض ومن دون الصحب جميعاً برفقة سيد الخلق وصحبته كل هذه المدة، وتظهر معاني الحب في الله في خوف أبي بكر وهو في الغار من أن يراهما المشركون ليكون الصديق مثلاً لما ينبغي أن يكون عليه جندي الدعوة الصادق مع قائده الأمين حين يحدق به الخطر من خوف وإشفاق على حياته؛ فما كان أبو بكر ساعتئذ بالذي يخشى على نفسه الموت، ولو كان كذلك لما رافق رسول الله ◘ في هذه الهجرة الخطيرة وهو يعلم أن أقل جزائه القتل إن أمسكه المشركون مع رسول الله ◘ ولكنه كان يخشى على حياة الرسول الكريم ◘، وعلى مستقبل الإسلام إن وقع الرسول ◘ في قبضة المشركين.

ويظهر الحس الأمني الرفيع للصديق في هجرته مع النبي ◘ في مواقف كثيرة منها؛ حين أجاب السائل: من هذا الرجل الذي بين يديك؟ فقال: هذا هاد يهديني السبيل، فظن السائل بأن الصديق يقصد الطريق، وإنما كان يقصد سبيل الخير، وهذا يدل على حسن استخدام أبي بكر للمعاريض فراراً من الحرج أو الكذب وفي إجابته للسائل تورية وتنفيذ للتربية الأمنية التي تلقاها من رسول الله ◘، لأن الهجرة كانت سراً وقد أقره الرسول ◘ على ذلك، وفي موقف علي بن أبي طالب مثال للجندي الصادق المخلص لدعوة الإسلام، حيث فدى قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة من بياته على فراش الرسول ◘، إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه ولكن علياً رضي الله عنه لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله ◘ نبي الأمة وقائد الدعوة.

11 - حسن القيادة والرفق في التعامل:

يظهر الحب العميق الذي سيطر على قلب أبي بكر لرسول الله ◘ في الهجرة، كما يظهر حب سائر الصحابة أجمعين في سيرة الحبيب المصطفى ◘ وهذا الحب الرباني كان نابعاً من القلب، وبإخلاص، لم يكن حب نفاق أو نابعاً من مصلحة دنيوية، أو رغبة في منفعة أو رهبة لمكروه قد يقع، ومن أسباب هذا الحب لرسول الله ◘ صفاته القيادية الرشيدة، فهو يسهرليناموا، ويتعب ليستريحوا، ويجوع ليشبعوا، كان يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، فمن سلك سنن الرسول ◘ مع صحابته، في حياته الخاصة والعامة، وشارك الناس في أفراحهم وأتراحهم وكان عمله لوجه الله أصابه من هذا الحب إن كان من الزعماء أو القادة أو المسئولين في أمة الإسلام.

إن القيادة الصحيحة هي التي تستطيع أن تقود الأرواح قبل كل شيء وتستطيع أن تتعامل مع النفوس قبل غيرها، وعلى قدر إحسان القيادة يكون إحسان الجنود وعلى قدر البذل من القيادة يكون الحب من الجنود، فقد كان ◘ رحيماً وشفوقاً بجنوده وأتباعه، فهو لم يهاجر إلا بعد أن هاجر معظم أصحابه، ولم يبق إلا المستضعفون والمفتونون ومن كانت له مهمات خاصة بالهجرة.

12 - استمرار الدعوة في أحلك الظروف:

أ - في الطريق أسلم بريدة الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه:

إن المسلم الذي تغلغلت الدعوة في شغاف قلبه لا يفتر لحظة واحدة عن دعوة الناس إلى دين الله تعالى، مهما كانت الظروف قاسية والأحوال مضطربة، والأمن مفقود، بل ينتهز كل فرصة مناسبة لتبليغ دعوة الله تعالى، هذا نبي الله تعالى يوسف عليه السلام حينما زج به في السجن ظلماً، واجتمع بالسجناء في السجن، فلم يندب حظه، ولم تشغله هذه الحياة المظلمة عن دعوة التوحيد وتبليغها للناس ومحاربة الشرك وعبادة غير الله والخضوع لأي مخلوق قال تعالى:{ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۚ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ (37) وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ (38) يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (39) مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (40)} [يوسف: ٣٧ - ٤٠].

وسورة يوسف عليه السلام مكية، وقد أمر الله تعالى رسوله محمداً ◘ أن يقتدي بالأنبياء والمرسلين في دعوته إلى الله وكذلك نجده ◘ في هجرته من مكة إلى المدينة وقد كان مطارداً من المشركين قد أهدروا دمه وأغروا المجرمين منهم بالأموال الوفيرة ليأتوا برأسه حياً أو ميتاً، ومع هذا فلم ينس مهمته ورسالته، فقد لقي ◘ في طريقه رجلاً يقال له: بريدة بن الحصيب الأسلمي رضي الله عنه في ركب من قومه، فدعاهم إلى الإسلام فآمنوا وأسلموا.

وذكر ابن حجر العسقلاني - رحمه الله -: أن النبي ◘ في طريق هجرته إلى المدينة لقي بريدة بن الحصيب بن عبد الله بن الحارث الأسلمي، فدعاه إلى الإسلام، وقد غزا مع الرسول ◘ ست عشرة غزوة وأصبح بريدة بعد ذلك من الدعاة إلى الإسلام وفتح الله لقومه أسلم على يديه أبواب الهداية، واندفعوا إلى الإسلام وفازوا بالوسام النبوي الذي نتعلم منه منهجاً فريداً في فقه النفوس قال ◘ :♂أسلم سالمها الله، وغفار غفر الله لها، أما والله ما أنا قلته ولكن الله قال▬.

ب - وفي طريق الهجرة أسلم لِصَّان على يدي رسول الله ◘ : كان في طريقه ◘ بالقرب من المدينة لصان من أسلم يقال لهما المهانان، فقصدهما ◘ وعرض عليهما الإسلام فأسلما ثم سألهما عن أسمائهما فقالا: نحن المهانان، فقال: بل المكرمان، وأمرهما أن يقدما عليه المدينة، وفي هذا الخبر يظهر اهتمامه ◘ بالدعوة إلى الله حيث اغتنم فرصة في طريقه ودعا اللصين إلى الإسلام، فأسلما،

وفي إسلام هذين اللصين مع ما ألفاه من حياة البطش والسلب والنهب دليل على سرعة إقبال النفوس على اتباع الحق إذا وجد من يمثله بصدق وإخلاص، وتجردت نفس السامع من الهوى المنحرف، وفي اهتمام الرسول ▫ بتغيير اسمي هذين اللصين من المهانين إلى المكرمين دليل على اهتمامه ▫ بسمعة المسلمين ومراعاته مشاعرهم إكراماً لهم ورفعاً لمعنوياتهم.

وإن في رفع معنوية الإنسان تقوية لشخصيته ودفعاً له إلى الأمام ليبذل كل طاقته في سبيل الخير والفلاح.

13 - أهمية العقيدة والدين في إزالة العداوة والضغائن:

إن العقيدة الصحيحة السليمة والدين الإسلامي العظيم لهما أهمية كبرى في إزالة العداوات والضغائن، وفي التأليف بين القلوب والأرواح، وهو دور لا يمكن لغير العقيدة الصحيحة أن تقدم به وها قد رأينا كيف جمعت العقيدة الإسلامية بين الأوس والخزرج، وأزالت آثار معارك استمرت عقوداً من الزمن، وأغلقت ملف العقيدة في نفوس الأنصار، فاستقبلوا المهاجرين بصدور مفتوحة، وتآخوا معهم في مثالية نادرة، لا تزال مثار الدهشة ومضرب المثل، ولا توجد في الدنيا فكرة أو شعار آخر فعل مثلما فعلت عقيدة الإسلام الصافية في النفوس.

ومن هنا ندرك السر في سعي الأعداء الدائب إلى إضعاف هذه العقيدة وتقليل تأثيرها على نفوس المسلمين، واندفاعهم المستمر نحو تذكية النعرات العصبية والوطنية والقومية وغيرها، وتقديمها كبديل للعقيدة الصحيحة.

14 - الحفاوة بالدعوة وحاملها:

كانت فرحة المؤمنين من سكان يثرب من أنصار ومهاجرين بقدوم رسول الله ◘ ووصوله إليهم سالماً فرحة أخرجت النساء من بيوتهن والولائد، وحملت الرجال على ترك أعمالهم، وكان موقف يهود المدينة موقف المشارك لسكانها في الفرحة ظاهراً، والمتألم من منافسة الزعامة الجديدة باطناً، أما فرحة المؤمنين بلقاء رسولهم، فلا عجب فيها، وهو الذي أنقذهم من الظلمات إلى النور، بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وأما موقف اليهود فلا غرابة فيه، وهم الذين عرفوا بالملق والنفاق للمجتمع الذي فقدوا السيطرة عليه، وبالغيظ والحقد الأسود على من يسلبهم زعامتهم من الشعوب، ويحول بينهم وبين سلب آمالهم باسم القروض، وسفك دمائها باسم النصح والمشورة، وما زال اليهود يحقدون على كل من يخلص الشعوب من سيطرتهم، وينتهون من الحقد إلى الدس والمؤامرات، ثم إلى الاغتيال إن استطاعوا، ذلك دينهم، وتلك جبلتهم.

ويستفاد من استقبال المهاجرين والأنصار لرسول الله ◘ : مشروعية استقبال الأمراء والعلماء، عند مقدمهم بالحفاوة والإكرام، فقد حدث ذلك لرسول الله ◘، وكان هذا الإكرام وهذه الحفاوة نابعين من حب للرسول بخلاف ما نراه من استقبال الزعماء والحكماء في عالمنا المعاصر، ويستفاد كذلك: التنافس في الخير وإكرام ذوي العلم والشرف، فقد كانت كل قبيلة تحرص أن تستضيف رسول الله ◘، وتعرض أن يكون رجالها حراساً له، ويؤخذ من هذا إكرام العلماء والصالحين، واحترامهم وخدمتهم.

15 - بين القدوة في الهجرة والتشريف في المعراج:

كانت الهجرة النبوية الشريفة على النحو الذي كانت عليه، وسارت على الوضع الذي يسلكه كل مهاجر، حتى توجد القدوة، وتتحقق الأسوة، ويسير المسلمون على نهج مألوف، وسبيل معروف، ولذلك، فلم يرسل الله - عز وجل - له ◘ البراق ليهاجر عليه كما حدث في ليلة الإسراء، مع أن الرسول ◘ في يوم هجرته أحوج إلى البراق منه في أي وقت آخر؛ لأن القوم يتربصون به هنا ولم يكن هناك تربص في ليلة الإسراء، ولو ظفروا به في هجرته لشفوا نفوسهم منه بقتله، والحكمة في ذلك - والله أعلم - أن الهجرة كانت مرحلة طبيعية من مراحل تطور الدعوة ووسيلة من أهم وسائل نشرها وتبليغها، ولم تكن خاصة برسول الله ◘ بل كان غيره من المؤمنين مكلفين بها، حين قطع الإسلام الولاية، بين المهاجرين وغير المهاجرين القادرين على الهجرة، قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) } [الأنفال: ٧٢].

أما رحلة الإسراء والمعراج كانت رحلة تشريف وتقدير، كما كانت إكراماً من الله - عز وجل - لنبيه ليطلعه على علم الغيب ويريه من آياته الكبرى، فالرحلة من أولها إلى آخرها خوارق ومعجزات ومشاهد للغيبيات، فناسب أن تكون وسيلتها مشابهة لغايتها.

زد على ذلك أن رحلة الإسراء خصوصية للرسول ▫، وليس لأحد من الناس أن يتطلع لمثلها، ولسنا مطالبين بالاقتداء به فيها، ولذا فإن حصولها على النحو الذي كانت عليه هو أنسب الأوضاع لحدوثها.

16 - وضوح سنة التدرج:

عندما تقابل رسول الله ▫ مع طلائع الأنصار الأولى لم يفعل سوى ترغيبهم في الإسلام وتلاوة القرآن عليهم، فلما جاؤوا في العام التالي بايعهم بيعة النساء على العبادات والأخلاق والفضائل، فلما جاؤوا في العام التالي كانت بيعة العقبة الثانية على الجهاد والنصر والإيواء.

وجدير بالملاحظة أن بيعة الحرب لم تتم إلا بعد عامين كاملين، أي بعد تأهيل وإعداد استمر عامين كاملين، وهكذا تم الأمر على تدرج ينسجم مع المنهج التربوي الذي نهجت عليه الدعوة من أول يوم.

إنه المنهج الذي هدى الله نبيه إلى التزامه، ففي البيعة الأولى بايعه هؤلاء الأنصار الجدد على الإسلام عقيدة ومنهاجاً وتربية، وفي البيعة الثانية بايعه الأنصار على حماية الدعوة، واحتضان المجتمع الإسلامي الذي نضجت ثماره، واشتدت قواعده قوة وصلابة.

إن هاتين البيعتين أمران متكاملان ضمن المنهج التربوي للدعوة الإسلامية وإن الأمر الأول هو المضمون، والأمر الثاني وهو بيعة الحرب هو السياج الذي يحمي ذلك المضمون، نعم كانت بيعة الحرب بعد عامين من إعلان القوم الإسلام وليس فور إعلانهم.

بعد عامين إذ تم إعدادهم حتى غدوا موقع ثقة وأهلاً لهذه البيعة، ويلاحظ أن بيعة الحرب لم يسبق أن تمت قبل اليوم مع أي مسلم، إنما حصلت عندما وجدت الدعوة في هؤلاء الأنصار وفي الأرض التي يقيمون فيها المعقل الملائم الذي ينطلق منه المحاربون، لأن مكة لوضعها عندئذ لم تكن تصلح للحرب.

وقد اقتضت رحمة الله بعباده ألا يحملهم واجب القتال، إلى أن توجد لهم دار الإسلام، تكون لهم بمثابة معقل يأوون إليه، ويلوذون به، وقد كانت المدينة المنورة أول دار للإسلام.

لقد كانت البيعة الأولى قائمة على الإيمان بالله ورسوله ◘ والبيعة الثانية على الهجرة والجهاد، وبهذه العناصر الثلاثة: الإيمان بالله، والهجرة، والجهاد، يتحقق وجود الإسلام في واقع جماعي ممكن والهجرة لم تكن لتتم لولا وجود الفئة المستعدة للإيواء ولهذا قال تعالى:{ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَّنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ۚ وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (72) } [الأنفال: ٧٢]، وقال تعالى:{ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنكُمْ ۚ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (75) } [الأنفال: ٧٥].

وقد كانت بيعة الحرب هي التمهيد الأخير لهجرة النبي ◘ وأصحابه إلى المدينة، وبذلك وجد الإسلام موطنه الذي ينطلق منه دعاة الحق بالحكمة والموعظة (الحسنة) وتنطلق منه جحافل الحق المجاهدة أول مرة، وقامت الدولة الإسلامية المحكمة لشرع الله.

17 - التضحية في الهجرة:

كانت هجرة النبي ◘ وأصحابه عن البلد الأمين تضحية عظيمة عبر عنها النبي ◘ بقوله:♂والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أخرجت منك ما خرجت▬.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله ◘ المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله في الحمى، وكان واديها يجري نجلاً - يعني ماء آجناً - فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم وصرف الله ذلك عن نبيه، قال: فكان أبو بكر، وعامر بن فهيرة، وبلال في بيت واحد، فأصابتهم الحمى، فاستأذنت رسول الله ◘ في عيادتهم فأذن، فدخلت إليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب وبهما ما لا يعلمه إلا الله من شدة الوعك، فدنوت من أبي بكر فقلت: يا أبت كيف تجدك؟ فقال:

كل امرئ مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله.

قالت: فقلت والله ما يدري أبي ما يقول: ثم دنوت من عامر بن فهيرة فقلت: كيف تجدك يا عامر؟ فقال:

لقد وجدت الموت قبل ذوقه إن الجبان حتفه من فوقه.

كل امرئ مجاهد بطوقه ::: كالثور يحمي جلده بروقه

قالت: فقلت: والله ما يدري عامر ما يقول. قالت: وكان بلال إذا أقلع عنه الحمى اضطجع بفناء البيت ثم يرفع عقيرته ويقول:

ألا ليت شعري هل أبيت ليلة ::: بواد وحولي إذخر وجليل

وهل أُرِدَن يوماً مياه مَجِنَة ::: وهل يبدون لي شامة وطفيل

قالت: فأخبرت رسول الله ◘ بذلك فقال:♂اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة، أو أشد، اللهم وصححها وبارك لنا في مدها وصاعها وانقل حماها واجعلها بالجحفة▬.

ولا يخفى دور أم معبد رضي الله عنها في الهجرة، فكانت مكافأتها منه ◘ جزيلة. فقد استجاب الله دعاء نبيه ◘ وعوفي المسلمون بعدها من هذه الحمى، وغدت المدينة موطناً ممتازاً لكل الوافدين والمهاجرين إليها من المسلمين على تنوع بيئاتهم ومواطنهم.

18 - حسن المكافأة:

وقد روي أنها كثرت غنمها ونمت حتى جلبت منها جلباً إلى المدينة، فمر أبو بكر، فرآه ابنها فعرفه، فقال: يا أمه هذا الرجل الذي كان مع المبارك، فقامت إليه فقالت: يا عبد الله من الرجل الذي كان معك؟ قال: أو ما تدرين من هو؟ قالت: لا، قال: هو نبي الله، فأدخلها عليه، فأطعمها رسول الله ◘ وأعطاها - وفي رواية: فانطلقت معي وأهدت لرسول الله ◘ شيئاً من أقط ومتاع الأعراب، فكساها وأعطاها، قال: ولا أعلمه إلا قال: وأسلمت، وذكر صاحب (الوفاء) أنها هاجرت هي وزوجها، وأسلم أخوها حبيش، واستشهد يوم الفتح.

19 - هكذا يكون الأتباع:

قال أبو بكر الأنصاري رضي الله عنه: (ولما نزل علي رسول الله ◘ في بيتي نزل في السفل وأنا وأم أيوب في العلو، فقلت له: يا نبي الله - بأبي أنت وأمي - إني لأكره وأعظم أن أكون فوقك، وتكون تحتي،

فاظهر أنت فكن في العلو، وننزل نحن فنكون في السفل. فقال: ♂يا أبا أيوب: إنه أرفق بنا ومن يغشانا أن نكون في سفل البيت▬ قال: فلقد انكسر جب لنا فيه ماء، فقمت أنا وأم أيوب بقطيفة لنا ما لنا لحاف غيرها ننشف بها الماء تخوفاً أن يقطر على رسول الله ◘ منه شيء يؤذيه.

20 - الهجرة النبوية نقطة تحول في تاريخ الحياة:

كانت الهجرة النبوية من مكة المشرفة إلى المدينة المنورة أعظم حدث حوَّل مجرى التاريخ، وغيَّر مسير الحياة ومناهجها التي كانت تحياها، وتعيش محكومة بها في صورة قوانين ونظم وأعراف وعادات وأخلاق وسلوك للأفراد والجماعات وعقائد وتعبدات وعلم، ومعرفة، وجهالة وسفه، وضلال وهدى، وعدل وظلم.

* * *

المفتاح السادس:

الحج والعمرة

قال ◘ :♂تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحج المبرور إلا الجنة▬ (1).

* * *

(1) رواه الترمذي.

المفتاح السابع:

التوكل على الله

ومعنى التوكل أن تأخذ بالأسباب كلها ثم توقن بأن رزقك سيصلك مهما حدث، وهو عكس التواكل الذي يعني أن تتكاسل عن طلب الرزق بحجة أن الله قد كتب الأرزاق كلها.

قال تعالى:{ ۞ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ (6) } [هود: ٦].

قال ◘ :♂لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يزرق الطير تغدوا خماصاً وتروح بطاناً▬ (1) .

التوكل في اللغة: من الوكْل، يقال: وكل بالله وتوكل على الله: إذا استسلم إليه.

والاسم: الوكالة، بفتح الواو وكسرها.

والتوكل: إظهار العجز والاعتماد على الغير.

والاسم: التكلان، ويطلق على الرجل فيقال: المتوكل.

معنى التوكل في الشرع:

اختلفت عبارات العلماء في تعريف التوكل؛ فمنهم من يقول: التوكل عبارة عن اعتماد القلب على الموكَّل، وهو الله تبارك وتعالى.

---

(1) رواه أحمد.

ومنهم من يجعله من باب المعارف والعلوم، فيقول: هو علم القلب بكفاية الرب للعبد.

ومنهم من يفسّره بالسكون، وخمود حركة القلب، فيقول: التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب، وهو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار. قال سهل: التوكل: الاسترسال مع الله مع ما يريد. ومنهم من يفسره بالرضا فيقول: هو الرضا بالمقدور.

قال ابن القيم رحمه الله: وحقيقة الأمر، أن التوكل حال مركبَّة من مجموع أمور لا تتم حقيقة التوكل إلا بها، وكل أشار إلى واحدٍ من هذه الأمور أو اثنين أو أكثر.

فأول ذلك معرفةٌ بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقيوميّته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته، وهذه المعرفة أول درجةٍ يضع بها العبد قدمه في مقام التوكل.

إذاً التوكل: هو علم القلب بكفاية الرب، واعتماده عليه، ورضاه بالمقدور.

أركان التوكل:

أركان التوكل ثلاثة: موكِّل - موكَّل - المادَّة التي وكلت أمرك فيها.

1- فالموكِّل: هو العبد الضعيف الفقير، وينبغي أن يُعلم أن التوكل لا يصح شرعاً إلا أن يكون صاحبه مسلماً - بمعنى لا يؤجر عليه صاحبه - لقوله تعالى:{ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ (54) } [التوبة: ٥٤].

2- الموكَّل: هو من استسلمت له وسلَّمت له الأمور، وهو الله سبحانه وتعالى، وهو الخالق، الحي، القيوم، المدبِّر، المتصرّف، عالم الغيب والشهادة.

3- المادة التي وكَّلت أمرك فيها، وهي: الرزق - الشفاء - النجاح - النصر - وغير ذلك.

شروط يجب أن تتوفر في الموكَّل:

ولا يتوكل الإنسان على غيره إلا إذا اعتقد فيه أشياء:

1- الرحمة: مثال ذلك:

المرأة التي تكِل أمر ولدها للمرضعة لترضعه - وتسمى الظئر - إنما تفعل ذلك لعلمها أنها ترحم الأطفال وتشفق عليهم، ولو علمت منها خلاف ذلك، لما وكلت أم في العالم أمر طفلها إلى غيرها.

2- القوَّة: فالطفل عندما يحتمي بأبيه إذا خاف، لعلمه - بما أودع الله فيه من الفطرة - أنه أقوى منه، وهذا من البديهيات.

3- الهداية: فالطالب عندما يأخذ العلم من أستاذه، يفعل ذلك لعلمه أنه يهديه إلى الحقيقة، ومعنى الهداية هنا: هداية الدلالة والبيان - أي أن الأستاذ يبيّن له الحق ويدله عليه.

4- القيام بالنفس: أي أنه غير محتاج إلى غيره، فالذي يتعرَّض للخسارة كيف يُتوكل عليه في جلب الرزق، والذي يتعرَّض للموت، كيف يُتوكل عليه في جلب نفعٍ أو دفع ضر.

وخلاصة الأمر: أن الموكَّل لا بد أن تتوفر فيه الرحمة، والقوة، والهداية، وأنه غير محتاج إلى غيره، حتى نتوكل عليه.

والمسلمون عندما يتوكلون على الله، فإنما يتوكلون عليه لعلمهم ويقينهم أنه أرحم الراحمين، فالله أرحم بعباده من الأم بولدها، ولذلك كان من أسمائه: الرحمن، على وزن فعلان كما يقال لمن امتلأ عطشاً: عطشان، أو امتلأ غضباً: غضبان، لإفادته الكثرة والامتلاء.

ولما كان الله تبارك وتعالى - ولا زال - ذا الرحمة الواسعة، كان من أسمائه: الرحمن.

وكذلك نتوكل عليه لعلمنا أنه ذو القوة المتين، كما نتوكل عليه لاعتقادنا أنه هدانا إلى صراط مستقيم، كما هدى كل مخلوقٍ لما يناسبه ويصلحه.

فمن الذي هدى المولود إلى ثدي أمه ؟

ومن الذي هدى السباع إلى أكل اللحم، والأنعام إلى أكل الحشائش والأعشاب ؟

ومن الذي هدى الطير إلى صنع بيته بالطريقة التي يصنعها ؟

إنه الله (الذى خلق فسوى وقدر فهدى) لذلك كان هو الإله الحق الذي ينبغي أن يتوكل عليه.

قال تعالى:{ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (12) } [إبراهيم: ١٢].

فضائل التوكل:

لقد تواردت النصوص من الكتاب والسنة التي تبين فضل التوكل، فمن ذلك:

1- تحقيق الإيمان: فمن حقق التوكل فقد حقق الإيمان، قال تعالى:{ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (23) } [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى:{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (84) } [يونس: ٨٤].

فدلت هذه الآية على أن من توكل على الله فقد حقق الإيمان.

2- جلب محبة الله للمتوكل: قال تعالى:{ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)} [آل عمران: ١٥٩]

فمن توكل على الله فقد استوجب محبته.

3- أن من يتوكل على الله فهو في حفظه وكفايته: قال تعالى:{ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا (3)} [الطلاق: ٣].

وقال:{ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا (132)} [النساء: ١٣٢].

4- ولا تنسى السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب:♂هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون▬.

منـزلة التوكل من الدين:

التوكل على الله منـزلة من منازل:{ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ} [الفاتحة: ٥] فهو من أنواع العبادات التي لا يجوز صرفها لغير الله.

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله، في تفسير قوله تعالى:{ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (2) } [الأنفال: ٢]: (أي لا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يلوذون إلا بجنابه، ولا يطلبون الحوائج إلا منه، ولا يرغبون إلا إليه، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك، لا شريك له، ولا معقب لحكمه، وهو سريع الحساب).

المؤمن الحق لا يرجو إلا الله، ولا يطلب الحوائج إلا منه، ولا يستغيث إلا به{ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ (62) } [النمل: ٦٢].

ويقرؤون قول الله تعالى:{ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (36) } [الزمر: ٣٦].

وإذا كان الله يكفي عبده، فلماذا يتوكل العبد على غيره، أو يطلب الحوائج من سواه ؟

مفاهيم خاطئة عن التوكل:

وقد أخطأ قوم طريق التوكل، فظنوا أن التوكل معناه: ترك العمل والتكسب، فتركوا الأخذ بالأسباب، وهذا ظن الجهال، فالعاقل لا يطلب الشبع من غير طعام ثم يقول: أنا متوكل !!!

ولا يطلب الولد من غير زواجٍ ووِقاع ثم يقول: أنا متوكل !!

فهؤلاء أُخذوا من جهلهم بحقيقة التوكل، فالتوكل على الله لا ينافي اتخاذ السبب، فالمؤمن يتخذ الأسباب من باب التعبد باتخاذها، ولكنه لا يجعل السبب هو الذي يحقق النتيجة، إن الذي يحقق النتائج هو الله.

يقول ابن القيم رحمه الله: فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن من تمام التوكل، عدم الركون إلى الأسباب.

فهذا رسول الله ■، كان من أكثر الناس توكلاً على الله، ومع ذلك لم يُخل بشيءٍ من الأسباب، فقد استأجر دليلاً مشركاً يدله على الطريق في الهجرة إلى المدينة، وكان يدَّخر لأهله قوت سنتهم، وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍ أو عمرةٍ حمل الزاد وهو سيد المتوكلين عليه الصلاة والسلام.

وفي مقابل هذه الطائفة، طائفة اعتمدوا على الأسباب وتركوا التوكل على الله رب العالمين.

والفرق بين الطائفتين:

أن الذين اعتمدوا على الله وتوكلوا عليه بقلوبهم، ولم يباشروا الأسباب، كان حالهم كحال الذي جلس في بيته وأغلق عليه بابه وفمه وقال:

إن قُدِّر لي الشبع فسوف أشبع وأحيا، واستمر على ذلك اليومين والثلاثة حتى مات متواكلاً جاهلاً عاصياً.

وأما الذين اعتمدوا على الأسباب، وتعلقت قلوبهم بها، وركنوا لها، وتركوا التوكل، كان حالهم كحال الذين ذهبوا ليقطفوا ثمار زرعهم، فأرسل الله عليها ريحاً دمَّرتها، قال تعالى:{ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ (19) فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ (20) } [القلم: ١٩، ٢٠].

فهؤلاء اتخذوا الأسباب من الحرث والبذر والسقاية والعناية، لكنهم ظنوا أن الأسباب وحدها تنشئ النتائج، ونسوا قدرة الله سبحانه، فلم يتوكلوا عليه، ولم يراعوا حقه، فأرسل على نتاجهم وثمارهم ما يحبطها ويبطلها ويجعلها كأنها لم تكن.

تبيين الطائفتين:

فالطائفة الأولى: جماعة من الذين سلكوا طريق الزهد بجهلٍ، وجعلوا الدين عبارةً عن رياضات بدنيةٍ وترَّهاتٍ صوفية، فأضروا أنفسهم، وأساؤوا إلى الإسلام، ثم اتخذ الماديّون من هذه الطائفة مثالاً عقيماً عن الإسلام ودندنوا به في صفوف المثقفين.

والطائفة الثانية: جماعة من الماديين الذين أبهرتهم الصناعة الشرقية، والتكنولوجيا الغربية، فاستسلموا لها، وصار اعتمادهم على المادة والمحسوسات.

وقفة تأمل وسؤال:

ولا يسعنا في هذا المقام، إلا أن نسأل الذين أبهرتهم ضخامة الآلة والتكنولوجيا الحديثة المعاصرة المتقدمة:

ماذا أعدّ أصحاب الآلة لحماية آلاتهم من الصواعق والزوابع والرياح والزلازل التي يرسلها رب العالمين ؟

لماذا عجزت الآلة عن إيجاد حلٍّ لرقع الخرق الذي حلَّ بطبقة الأوزون ؟

لماذا عجزت الآلات الإلكترونية والكهربائية الحديثة عن إيجاد علاجٍ لمرض فقدان المناعة " الأيدز " ؟

كل الذي توصلوا إليه الآن، ما هو إلا الوقاية، أما العلاج، فهم عاجزون، ولا يملكون جواباً لسبب هذا العجز.

أما نحن المسلمين، الآخذون بالأسباب، المتوكلون على الله في تحقيق النتائج، فجوابنا: أن مرض فقدان المناعة " الأيدز " عقوبة حلت بسبب، وهو الخروج عن القانون الإلهي في العلاقة بين الذكر والأنثى، واستبدال العلاقة الشرعية بالعلاقة المحرمة (الزنا)، ومن المسلَّم به أنَّ ما نزل بسبب لا يرتفع إلا بارتفاع السبب.

ومن هنا تظهر عظمة الإسلام، فالإسلام عندما حرّم الزنا، إنما حرّمه لأن مفسدته راجحة، فالإسلام لا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة.

نعم.. ليس للبشرية قاطبةً غنًى عن التوكل على الله رب العالمين، وهذا هو اعتقاد المسلمين، لكن من المسلمين من يقول: إنه متوكل على الله ثم إذا حلَّت به مصيبة رجا غيره، فهذا لم يستقم منه التوكل، وإنما كان توكلاً غير حقيقى.

أمثلة على التوكل الغير عملى:

ومما يؤسف له، أننا نعيش في زمنٍ ضعف فيه اليقين على الله، فصار توكلنا على الله توكلاً نظرياً، لا وجود له في الحقيقة والخارج، إلا من رحم الله، وسأدلل على ذلك ببعض الأمثلة الحية التي نعيشها:

1- رجل مريض، يذهب إلى الطبيب للعلاج، فيصف له الخمر للتداوي بها، فإذا قلت له: قال رسول الله ◘ :♂إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم▬. فالخمر داء وليست بدواء، وكذلك التدخين وكلاهما حرام.

أخى: توكل على الله واطلب العلاج المشروع.

وأين أنت من قوله تعالى:{ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ (80) } [الشعراء: ٨٠]

فنحن وإن كنا نؤمن بالتداوي لقوله ◘ :♂إن الله عز وجل لم ينـزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم▬. لكننا نؤمن بأن الدواء سبب، والشافي على الحقيقة هو الله، وإنما يشفي الدواء بما أودع الله فيه من خاصيّة الشفاء، فلذلك نحن نأخذ الدواء وقلوبنا ترجو الله تبارك وتعالى، وتتوجه إليه بطلب الشفاء.

2- ومثال آخر: رجل يسأل فيقول: أنا أعمل في مؤسسة ربوية فما الحكم ؟ فنقول له: هذا العمل حرام، وكسبه حرام، فتوكل على الله وابحث عن عملٍ آخر، فيقول: أنا متوكل على الله، ولكن التوكل على الله لا يعني أنك تقطع برزقي !!.

إن هذا الجواب ليدل دلالةً واضحةً على ضعف التوكل عند هذا الإنسان، من يقطع برزق من ؟ وإذا قدَّر الله الرزق لإنسان فمن يستطيع أن يصرفه عنه ؟

فهل هذا الرجل متوكل على الله حقاً ؟

أين هو من قوله تعالى:{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) } [الذاريات: ٢٢]

ومن قوله تعالى:{ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ (58) } [الذاريات: ٥٨]

ومن قوله ◘ :♂إنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها▬.

أرأيتم الدودة السوداء، تعيش تحت الصخرة الصمَّاء، في الليلة الظلماء، من يسوق لها رزقها ؟

الطائر عندما يخرج من بيته في البكور، لا يعلم أين رزقه، ومع ذلك يخرج آخذاً بالأسباب، متوكلاً على الله في تحقيق الرزق، وفي هذا يقول الرسول ◘ :♂لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً▬.

شبهة وجوابها:

وقد يقول قائل: مرضت، فتوكلت على الله في طلب الشفاء مع الأخذ بالأسباب فلم أُشفَ !

فالجواب: قد يبتلي الله بعض عباده من باب الاختبار والتمحيص، وذلك ليعلم الصابر الذي يصبر على ابتلاء الله من القانط الذي يقنط من رحمة الله. ثم المسألة من ثلاثة وجوه:

1- إما أن يحقق لك ما توكلت به عليه.

2- وإما أن يكفِّر عنك من الذنوب مثله، وعليك أن تصبر.

3- وإما أن يدّخر لك الأجر ليوم القيامة ويجعل جزاءك الجنة.

وقد أتت امرأة إلى النبي ◘ فقالت: يا رسول الله، إني أُصرع فادعُ الله لي، فقال:♂إن شئت دعوت لك، وإن شئتِ صبرتِ ولك الجنة▬ فقالت: أصبر، ولكني أتكشف، فادع الله ألا أتكشف، فدعا لها.

أمثلة على التوكل الحقيقي:

ومن أجمل الأمثلة وأوضحها في التوكل على الله عند الأولين، توكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ثم الصحابة رضوان الله عليهم ومنهم:

1- إبراهيم عليه الصلاة والسلام، لما أُلقي في النار، توكل على الله وقال:{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)} [آل عمران: ١٧٣] فقال الله عز وجل للنار:{ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (69) وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ (70) } [الأنبياء: ٦٩، ٧٠].

2- توكل أم موسى رضي الله عنها، عندما أمرها الله عز وجل أن تضع ولدها في الصندوق وتلقيه في اليم، قال تعالى:{ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَىٰ وَالْآخِرَةِ ۖ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (70)} [القصص: ٧].

فتوكلت على الله رب العالمين، وألقته في اليمّ، فأيُّ ثقةٍ تعدل هذه الثقة ؟ وأي توكلٍ هذا ؟ إنه توكل الصادقين.

ويقع الطفل الرسول في يد آل فرعون{ خَاطِئِينَ (8) وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9) وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (10) } [القصص: ٨ - ١٠].

وجمعوا له المراضع، ولكن الله تبارك وتعالى لا يخيّب الآمال، آمال المتوكلين الصادقين، فعطّل الأسباب التي تحول بين الطفل وأمه،{:{ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) } [القصص: ١٢]

فجاءت أخته وقالت:{ ۞ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ (12) فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (13) } [القصص: ١٢، ١٣].

3- وهذا رسول الله ◘ عندما عرضوا عليه العروض مقابل أن يتنازل عن دعوته، وأن يسكت عن تسفيه آلهتهم، قال بلهجة الواثق بالله المعتمد على الله، المتوكل عليه:♂أترون هذه الشمس؟▬ قالوا: نعم، قال:♂ما أنا بأقدر على أن أدع ذلك منكم على أن تستشعلوا منها شعلة▬.

ولما توعده المشركون بالجموع، وخوّفوه بكثرة الأعداء، لم يكترث لذلك، بل توكل على الله واستعان بالله، كما قال تعالى:{ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (173)} [آل عمران: ١٧٣].

4- وهذا الصّدّيق رضي الله عنه عندما قدَّم كلَّ ما يملك في سبيل الله، سأله الرسول عليه الصلاة والسلام:♂وماذا أبقيت لعيالك▬؟ فيقول بلهجة الواثق بالله المتوكل عليه:♂أبقيت لهم الله ورسوله▬.

5- وهذا عمر رضي الله عنه، يضرب في التوكل على الله أروع الأمثلة، وهو في موقع المسؤولية العظمى، يبرز هذا التوكل على الله والاستسلام له في نومه تحت الشجرة في الطريق، وهذا ليس تواكلاً، لأنه حقق الأسباب وقام بها، ولا أقصد بالأسباب أنه أقام سوراً من الجند والحرس،

ثم نام تحت ظل شجرة بحراسة الجند، بل إن الأسباب التي حققها عمر رضي الله عنه هي العدل بين الرعية، والسهر على حقوقهم ومصالحهم، حتى كسب ودهم ووداده‌م، وتوكل على الله.

وهذا المشهد لم يتكرر في التاريخ، ولذلك لما رآه صاحب كسرى دُهِش، وقد صور شاعر النيل هذا المشهد قائلاً:

وراع صاحب كسرى أن رأى عمراً بيـن	:::	الرعيـة عطـلاً وهو راعيهـا
تحت ظل الـدوح مشتملاً ببـردةٍ	:::	كاد طـول العهـد يبليهـا
وعهده بملوك الفـرس أنَّ لهـا	:::	سوراً من الجند والحراس يحميها
أمِنت لما أقمت العـدل بينهـم	:::	فنمـت نـوم قريـر العيـن هانيها
قـد كـنت أعـدى أعـاديهـا	:::	فأصبحت بفضل ربك حصناً من أعاديها

6- وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه، يضرب أروع الأمثلة في الشجاعة والبسالة، والإقدام، والجرأة، حيث كان يدخل في صفوف جيش الأعداء فيشقه نصفين، وذلك لعلمه واعتقاده أنه ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وهذه مرتبة رفيعة في التوكل.

7- ولما حوصر المسلمون في منطقة جواثا في البحرين، في حروب الردة، وقد ارتد من ارتد من المسلمين بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يكن يُسجد لله في الأرض إلا في ثلاثة مساجد: مكة، والمدينة، ومسجد عبد القيس بجواثا البحرين، أنشد رجل من أهل جواثا - البحرين - يستنجد أبا بكر رضي الله عنه، مبيناً صبرهم وتوكلهم على الله، فقال:

ألا أبلغ أبا بكر رسـولاً ::: وفتيان المدينـة أجمعينــا
فهل لكم إلى قوم كـرامٍ ::: قعودٍ في جــواثا محصَّرينا
كأنّ دماءهم في كل فـجٍّ ::: دماء البدن تغشى الناظرينا
توكلنا على الرحمن أنّـا ::: وجــدنا النصر للمتوكلينا

التوكل على الله هو خاصية الإيمان وعلامته:

قول الله تعالى في كتابه الكريم:{ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (23) } [المائدة: ٢٣].

إن خوف هذين الرجلين من الله وحده ينشئ لهما استهانة بالجبارين ويرزقهما شجاعة في وجه الخطر الموهوم، وتلك هي قيمة الإيمان وقيمة الخوف من الله في مواجهة الخوف من الناس وساعة الشدائد فإن من يخاف الله تعالى لا يخاف أحداً بعده ولا يرهب شيئاً سواه، ذلك لأن المؤمن يتوكل على الله وحده وهذه هي خاصية الإيمان وعلامته. وهذا هو منطق الإيمان ومقتضاه.

وعلى الله فليتوكل المؤمنون

فالتوكل عبادة من كمال الإيمان يتبعها صبر ورضا وشكر فهى البدايه لكل هذه المعانى الإيمانيه الجميلة والتى نفتقدها فى عصرنا هذا والتى لو وجدت لوجدت الراحة والسعادة.

لا نستطيع أن نتوكل على الله وهو القائل:{ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (22) فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (23) } [الذاريات: ٢٢ - ٢٣]،

فالإنسان عندما يولد ينطلق سهمان فى السماء سهم الرزق وسهم الأجل لا ينقطع أحدهما قبل الآخر.

لا نستطيع أن نتوكل على الله وهو القائل:{ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ (11) } [الرعد: ١١]،

أى: يوكل الله ملائكه ليحفظوا الإنسان بأمر الله حتى يحين أجله.

إذا كنا لا نستطيع التوكل على الله وهو الوكيل، فلنقرأ قصة السيدة هاجر زوجة سيدنا إبراهيم ونرى أروع معانى التوكل التى تجسدت فى السيدة هاجر حين ولدت سيدنا إسماعيل فاشتدت غيرة السيده سارة منها وطلبت من سيدنا إبراهيم أن يغيب وجهها عنها فذهب بها وبولدها حتى وضعهما حيث مكة اليوم وكان ولدها إذ ذاك رضيعاً " فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وتعلقت بثيابه وقالت: يا إبراهيم أين تذهب وتدعنا هاهنا وليس معنا ما يكفينا؟!، فلم يجها، فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له: آلله أمرك بهذا ؟، قال: نعم، قالت: فإذن لا يضيعنا.

ما هذا التوكل ؟! امرأة ضعيفة وطفل رضيع فى صحراء جرداء مقفرة لا ماء فيها ولا زرع ولا بشر ورغم ذلك إيمان ويقين وصبر ورضا وثقة وحسن ظن بالله كلها جاءت من توكلها على الحى الذى لا يموت.

و لم تتوكل السيدة هاجر ولم تجلس لتبكى وتكتفى بالدعاء، و لكن حين نفد الماء الذى كان معها فى السقاء، وأخذ وليدها يتلوى من الجوع والعطش، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً " ؟، فلم تر أحداً " ، فهبطت من الصفا، حتى إذا بلغت بطن الوادى رفعت طرف ذراعها ثم سعت سعى الإنسان المجهود حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا " ؟، فلم تر أحدا " ، ففعلت ذلك سبع مرات. فلما أشرفت على المروة سمعت صوتا " ، فإذا هى بالملك عند موضع زمزم، فبحث الملك بجناحه حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه وتغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

ففي هذا الحديث ما يبين فضل التوكل وعظمه، فالمتوكل على الله وهو الذي صدق في اعتماده ولجئه إلى الله قد أخلص في توكله واعتمد على من لا يعجزه شيء - سبحانه.

كما نبه النبي ◘ إلى التوكل هو الأصل الجامع الذي تفرعت عنه الأفعال المذكورة معه، فالتوكل على الله وصدق الالتجاء إليه والاعتماد بالقلب عليه هو خلاصة التفريد ونهاية تحقيق التوحيد الذي يثمر كل مقام شريف من المحبة والخوف والرجاء والرضى به رباً وإلهاً والرضا بقضائه، بل ربما أوصل العبد إلى التلذذ بالبلاء وعده من النعماء، فسبحان من يتفضل على من يشاء بما يشاء الله ذو الفضل العظيم.

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله: " وسرُّ التوكل وحقيقته هو: اعتماد القلب على الله وحده، فلا يضره مباشرة الأسباب مع خلو القلب من الاعتماد عليها والركون إليها، كما لا ينفعه قوله: توكلت على الله مع اعتماده على غيره وركونه إليه وثقته به. فتوكل اللسان شيء وتوكل القلب شيء، كما أن توبة اللسان مع إصرار القلب شيء وتوبة القلب وإن لم ينطق اللسان شيء. فقول العبد: توكلت على الله مع اعتماد قلبه على غيره مثل قوله: تبت إلى الله وهو مُصِرٌّ على معصيته مرتكب لها. ا. هـ.

* * *

المفتاح الثامن:

التفرغ لعبادة الله

وهو أن تترك تنافس الدنيا وتكتفي بالقليل الذي يكفيك... وتبذل وقتك الباقي كله للعبادة والدعوة إلى الله.

ففي الحديث القدسي:♂يا بن ادم.. تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى وأسد فقرك، وإن لم تفعل ملأت يدك شغلاً ولم أسد فقرك▬ (1) .

وعن معقل بن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂يقول ربكم تبارك وتعالى: يا بن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى، وأملأ يديك رزقاً، يا بن آدم لا تَبَاعدْ مني فأملأ قلبك فقراً وأملأ يديك شغلاً▬(2).

أحبتى فى الله:

المسلم ما دام قد رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ◘ نبيناً فإنه ينبغي أن يعبد الله تعالى حق عبادته ويطيعه في هذه الحياة الدنيا حتى يأتيه الموت وهو على رضوان من الله ورحمة، ولتحقيق رضا الله تعالى فعلى المسلم أن يزداد من التقوى والإيمان كل يوم وفي كل موقف من مواقف حياته، وأن يتفرغ لعبادة الله في كثير من أحيانه،

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، وهذا لفظه، ورواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه، وهو حديث صحيح، صححه الألباني في مواضع عديدة من كتبه.

(2) أخرجه الحاكم.

وإن من التفرغ لعبادة الله وقف هذه الحياة كلها لله وعمارتها بكل عمل صالح وهذا لا يقدر عليه إلا الخلص من المؤمنين الذين نذروا حياتهم لرب العالمين، ومن التفرغ لعبادة الله التفرغ للصلوات في أوقاتها مع الجماعة والتفرغ لذكر الله وقيام الليل، ومن ذلك الاعتكاف في رمضان وفي غيره، مع بقاء الحياة كما هي عليه من حيث التكسب وطلب الرزق الحلال، فليس معنى التفرغ لعبادة الله تعالى أن نترك أعمالنا وأشغالنا ووظائفنا وتجاراتنا ثم نرحل إلى المساجد عاكفين! هذا لا يقوله عاقل؛ لأن الحياة سوف تتعطل والله تعالى لن يرزق أحداً إلا بسعي وعمل.

وإنما المقصود: ألا ينسى المؤمن الدار الآخرة وعبادة الله عز وجل وينشغل بالدنيا انشغالا كلياً بحيث تصبح الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه ومصدر سعيه! فهذا هو الشقاء والنكد والحرمان نسأل الله السلامة منه والعافية.

وقد جاء في بعض الأحاديث ما يدل على أهمية التفرغ لعبادة الله تعالى وجمع القلب والهم على الله وحده دون شريك، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: تلا رسول الله ◘ :{ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ (20) } [الشورى: ٢٠].

إن التأمل في مثل هذه الأحاديث النبوية العظيمة تبعث في قلب المؤمن معاني إيمانية عظيمة، تجعله يراجع كثيراً من حساباته في خضم ومعترك هذه الحياة التي يشقى فيها كثير من الناس!

فعدم التفرغ للعبادة شقاء وحرمان وهم وضيق ونكد وعاقبة سيئة وخاتمة غير مرضية، ولهذا نجد أن كثيراً من الأغنياء في العالم لا يهنؤون بغناهم ولا يسعدون بأموالهم رغم ما أوتوه من بسطة في العلوم والأجسام والأموال والأولاد، ولكن مع كل هذا لما انقطعوا عن الله وانفصموا عن ربهم انفصاماً نكداً عاقبهم الله تعالى بألوان كثيرة من العقوبات، وقد يصل الأمر بأكثرهم إلى الانتحار والتخلص من حياة الجحيم التي يكابدها في صدره الضيق الحرج.

إننا -معشر المسلمين- مطالبون جميعاً بالرجوع إلى الله والتوبة إليه بسبب البعد الذي يعانيه كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام وهم أبعد ما يكونون عن تعاليمه وأحكامه وأخلاقه، وهم أبعد ما يكونون عن طاعة الله وعبادته فضلا عن التفرغ للعبادة والطاعة، فالتفرغ هو من صفات الصالحين والصديقين وهم مبثوثون في كل زمان ومكان، وهذه الأمة كلها خير لا يدرى أخيرها في أولها أم في آخرها كما جاء عن النبي ◘ من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ◘ :♂مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره▬ (1).

وفي معنى حديث أبي هريرة السابق: (يا ابن آدم تفرغ..) ما جاء من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ◘ :♂من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ما قدر له▬ (2).

---

(1) رواه أحمد والترمذي وغيرهما وهو حديث صحيح.

(2) رواه الترمذي وابن ماجه والدارمي وغيرهم وهو حديث صحيح.

والمقصود: أن يجعل الإنسان همه الله والدار الآخرة وأن يتفرغ لعبادة الله ما استطاع إلى ذلك سبيلا، والتفرغ الذي نعنيه هنا هو التفرغ لله بالمستحبات والنوافل أما الفرائض والواجبات فكل مسلم ملزم بأدائها، وقد جاء في الحديث الصحيح ما يدل على أن الله يحب من تفرغ لعبادته وتزود من نوافل الطاعات، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ : ♂إن الله قال من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته!▬(1).

ومعنى قوله: (كنت سمعه الذي يسمع به..) إلخ، أي: توفيق الله لعبده في الأعمال التي يباشرها بهذه الأعضاء، وتيسير المحبة له فيها بأن يحفظ جوارحه عليه، ويعصمه عن مواقعة ما يكره الله من الإصغاء إلى اللهو بسمعه، ومن النظر إلى ما نهى الله عنه ببصره، ومن البطش فيما لا يحل له بيده، ومن السعي إلى الباطل برجله(2).

* * *

---

(1) رواه الإمام البخاري في صحيحه.

(2) ذكره ابن حجر في فتح الباري عن الخطابي رحمه الله تعالى.

المفتاح التاسع:

الإحسان والعطف على الضعفاء والمساكين

قال ◘ :♂هل تُنصرون وتُرزقون إلا بضعفائكم▬(1) .

هل تعرف اليتيم؟ نعم، هل تعرف ذاك الإنسان الضعيف الذي فقد ظهيره ونصيره (بعد الله تعالى)، فقد أباه الذي يرعاه بالعطف والحنان، يرعاه بحب خالص من شوائب الأنانية والمصلحة الخاصة، مع استعداد للتضحية والعطاء والفداء، وحرص شديد على إبلاغه مبلغ الرشد والكمال والنضج والقوة.

غير اليتيم يرعاه أبواه، يعيش في كنفهما تظلله روح الجماعة، يفيض عليه والده من حنانهما، ويمنحانه من عطفهما.

أمَّا اليتيم فقد فَقَدَ هذا الراعي، ومال إلى الانزواء والعزلة، ينشد عطف الأبوة، ويرنو إلى من يمسح رأسه ويخفف بؤسه.

إنَّه بوضوح واختصار: يتطلع إلى من يُنسيه مرارة اليتم وآلام الحرمان.

وعندما نمضي سوياً نستعرض النصوص القرآنية التي تعرَّضت لأحوال اليتامى، نلاحظ ما يلي:

*** جعل الإحسان إلى اليتامى من البر:**

---

(1) رواه البخاري.

قال تعالى:{ ۞ لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (177)} [البقرة: ١٧٧].

* الأمر بالإحسان إلى اليتامى وإصلاح أحوالهم:

قال تعالى:{ ۞ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا (36) } [النساء: ٣٦].

أن الإسلام جعل لليتيم حقاً في أموال الغنائم والفيء:

قال تعالى:{ ۞ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (41) } [الأنفال: ٤١].

وقال:{ مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ ۚ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۖ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (7) } [الحشر: ٧].

* إكرام الله عزّ وجل لليتامى ونعيه على من لم يكرمهم:

قال تعالى:{ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) } [الفجر: ١٧].

وقال تعالى:{ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ (6) وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ (7) وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ (8) فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ (9) وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (10) وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (11) } [الضحى: ٦ - ١١].

إن حَسْبَ اليتامى أن يكون أسوتهم محمداً ◘، فتلك - وربك - هي الإنسانية بجلالتها، وهي الحقوق بأسمى معانيها.

وحسب الأوصياء أن يعلموا أنَّ اليتيم محمداً ◘ قد رعاه ربه وتولاه، فآواه وهداه.

* ترتيب الجزاء العظيم لمن أكرم اليتيم:

قال تعالى:{ إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (5) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (6) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (7) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10) فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (11) وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (12) } [الإنسان: ٥ - ١٢].

وقال تعالى:{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) } [البلد: ١١ - ١٦].

ثم هاك بعض نصوص السنة تتم عقد ما ذكرنا من آيات:

* عن سهل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ◘ :♂أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئاً▬ (1).

قال ابن بطال: " حق على من سمع هذا الحديث أن يعمل به ليكون رفيق النبي ◘ في الجنة، ومنزلة في الآخرة أفضل من ذلك " .

قد يرغب محب الخير أن يعرف السر في بلوغ الكافل هذه المنزلة العظيمة، والرتبة الشريفة ليكون قريناً لنبيه ◘ في المقام العظيم.

قال أهل العلم: إنَّ محمداً ◘ كتب الله على يديه هداية قوم كانوا في ضلال مبين، قام عليهم، وأصلح شأنهم، علَّمهم وأرشدهم، ودلَّهم على الحق والطريق المستقيم.

وكذلك كافل اليتيم، يحفظ يتيمه في حال صغره حين لا يعقل ولا يفقه، فيدله ويهديه، ويهذبه ويربيه، فإذا بلغ مبلغ الرجال، كان رجلاً سوياً، محفوظ الحقوق، موفور الكرامة، مع ما يتحمَّل الكافل من تبعات الوصاية والرعاية، وشؤون التربية وحسن العناية، وما يحف بذلك من تقوى ونزاهة وعفاف. قال النيسابوري: قال أهل التحقيق: الحكمة في يتم النبي ◘ : أن يعرف قدر الأيتام فيقوم بأمرهم، وأن يكرم اليتيم المشارك له في الاسم.

* عن أبي أمامة أنَّ رسول الله ◘ قال:♂من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرَّت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين▬ وفرَّق بين إصبعيه السبابة والوسطى " (2).

---

(1) رواه البخاري.

(2) رواه أحمد.

نعم، امسح رأسه، اقترب منه، ابتسم له، طيِّب خاطره، أدخل البهجة على روحه الظامئة بكلمة باسمة.

إنَّ العلاقات الإنسانية تحقق كل مجد لها حين تضفي على هذا اليتيم المحروم من حنانها ودفئها.

* عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ◘ قال:♂اللهم إني أحرج حق الضعيفين، اليتيم والمرأة▬ (1).

فهذا تحذير بليغ وزجر شديد بإلحاق الإثم بمن ضيَّع حق اليتيم والمرأة.. لِمَ؟؟ لأنَّهما ضعيفان.. إذاً هما بأمس الحاجة إلى من يقف معهما مدافعاً ومناصراً.

* قول النبي ◘ للسائب بن عبد الله:♂يا سائب، انظر أخلاقك التي كنت تصنعها في الجاهلية فاجعلها في الإسلام. أقْر الضعيف، وأكرم اليتيم، وأحسن إلى جارك▬ (2).

* وقد عدَّ عمرو بن العاص رضي الله عنه خمس صفات يمتاز بها الروم، وذكر منها " وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف " (3).

بعض الأمثلة التطبيقية من النبي ◘:

فمن ذلك ما فعل بأولاد أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي - رضي الله عنه - الذي مات سنة 4هـ عن أولاد صغار، وعن زوجته الكريمة أم سلمة- هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية - فيتم الأطفال، وتأيمت المرأة، فقام النبي ◘ بكفالتهم جميعاً كما يكفل أبناءه.

---

(1) رواه أحمد وابن ماجه.
(2) رواه أبو داود وصححه الألباني.
(3) رواه مسلم.

ولما علم بانقضاء عدة أم سلمة - رضي الله عنها - أرسل إليها يخطبها ليكفلها وأولادها، وقال لها لما أرادت أن تعتذر إليه بغيرتها وكثرة صبيانها:♂أما قولك: غيرى، فسأدعو الله فتذهب غيرتك، وأما قولك: فإني امرأة مصبية فستكفين صبيانك▬(1) فرضيت وتزوجها النبي ◘ وعال أيتامها.

ولما أفاء الله تعالى عليه كان يلي أمر كل مسلم يموت وله عيال، ويقول:♂أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم، فمن توفي من المؤمنين فترك دينًا أو كلاً أو ضياعًا فعلي وإلي، ومن ترك مالاً فلورثته▬ (2).

فهكذا كان النبي ◘ يُعني بالأيتام بنفسه الشريفة، ليكون أسوة للأمة في العناية بهم وجبر كسرهم وسد عوزهم، فإنها مأمورة بالتأسي به ◘، وفعله شرع لها، وهي مسؤولة عنه إن هي فرطت في اتباعه فيه، لا سيما من يلي أمر الأمة من خلفائه بعده، فإن عليهم أن يفعلوا ما كان النبي ◘ يفعله من الكفالة والإعالة للأيتام؛ لأنهم نوابه في رعاياهم من بعده، وذلك من مقتضيات ولاياتهم وواجبات خلافتهم، التي ائتمنهم الله تعالى عليها.

*** ولنا في الصحابة أسوة فقد كان ابن عمر - رضي الله عنهما - لا يجلس على طعام إلا على مائدته أيتام.**

* * *

---

(1) رواه النسائي.

(2) رواه البخاري ومسلم.

الخلاصة

* أنَّ كافل اليتيم يحوز صحبة الرسول ◘ ويحظى بذلك شرفاً وفخراً.

* كفالة اليتيم صدقة يضاعف لها الأجر إن كانت على الأقرباء (أجر الصدقة وأجر القرابة).

* كفالة اليتيم والإنفاق عليه دليل طبع سليم وفطرة نقية.

* كفالة اليتيم والمسح على رأسه وتطييب خاطره يرقق القلب ويزيل عنه القسوة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رجلاً شكا إلى النبي ◘ قسوة قلبه فقال:♂امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين▬ (1).

* إن كفالة اليتيم تعود على الكافل بالخير العميم في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

* كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية، وتسوده روح المحبة والود. إن اليتيم إذا لم يجد من يستعيض به حنان الأب المشفق والراعي الرفيق، فإنه سيخرج نافر الطباع، وسيعيش شارد الفكر، لا يحس برابطة ولا يفيض بمودة. وقد ينظر نظر الخائف الحذر، بل قد ينظر نظر الحاقد المتربص، وقد يتحول في نظراته القاتمة إلى قوة هدامة.

---

(1) رواه أحمد.

وينبغي التنبه إلى أنَّ مشاعر اليتيم ربما تبلغ من الإفراط في الحساسية أن تقهره الكلمة العابرة التي لا تثير انتباه أي إنسان آخر، ولا تحرك فيه شيئاً؛ لذلك كان على كافل اليتيم أن يكون رقيق الملاحظة جداً لما يهز مشاعر الأيتام بالألم، فلا يأتي منها شيئاً ويوصي أسرته بذلك، وأيضاً ينتبه إلى أنَّ اليتيم قد يقهره منظر عطف الأب أو الأم على ولدهما داخل الأسرة التي يعيش في كفالتها.

* في إكرام اليتيم والقيام بأمره إكرام لمن شارك رسول الله ◘ في صفة اليتم، وفي هذا دليل على محبته ◘.

* كفالة اليتيم تزكي المال وتطهره وتجعله نعم الصاحب للمسلم.

* كفالة اليتيم من الأخلاق الحميدة التي أقرَّها الإسلام وامتدح أهلها.

* في كفالة اليتيم بركة تحلّ على الكافل وتزيد من رزقه.

* في كفالة اليتيم إنقاذ له ممَّن يريد إفساده - كما هو حال المنصِّرين - أو استغلاله وظلمه.

* أن مظلة الإسلام تحمي الضعاف، وتحنو على الصغار، وتحفظ حقوقهم، وتنظم علاقاتهم، فلا يستذل ضعيف لضعفه، ولا يعتدى على عاجز لعجزه. ولقد ذلت - ولسوف تذل - كل أمة تضيع ضعيفها ويتيمها، وتجعل من نفسها مسغبة لا يعيش فيها إلا الوحوش الضارية، أو الثعالب الماكرة.

* إنَّ كافل اليتيم إذا استطاع أن يوصل صوته ورسائله ونصائحه - وأهمّ من ذلك كله حبه - لذلك الطفل اليتيم.. فلسوف يضمن ذلك عدم الاحتياج إلى تذكيره بين الحين والآخر بفضيلة كفالة الأيتام، إذ سيصبحون جزءاً لا يتجزأ من حياته المادية والمعنوية.

* إنَّ كفالة اليتامى من أخلاق المجتمع المسلم، إذ لا يجوز بحال من الأحوال أن يترك اليتيم هملاً، دون أن يجد من يكفله ويرعى شأنه، فإن لم يجد من يكفله فالمجتمع الإسلامي الذي حوله كلهم آثمون إذا علموا به وأهملوه.

* كان لكفالة اليتيم ما سبق من فضائل؛ لأنَّها تنبئ عن مشاعر الرحمة في قلب من يكفله، والرحمة جوهرة نفيسة في قلوب المؤمنين، ولا تحصل كفالة اليتيم بصدق وأمانة ما لم يكن قلب الكافل مملوءاً بخلق الرحمة، مشحوناً بإيمان يربطه بالله واليوم الآخر.

ومرةً أخرى إن شئتم أن تذرفوا الدمع ساخناً فاذكروا ساعة الاحتضار، ودنو الأجل، وتذكروا حال الصبية الصغار، والذرية الضعاف الذين يتركهم هذا المحتضر وراءه، يخشى عليهم ظروف الحياة، وبلاء الدهر، يتمنى لهم ولياً مرشداً يرعاهم كرعايته، ويربيهم كتربيته، ويعوضهم بره وعطفه..

من تذكر هذه الساعة، وعاش هذه الحالة، فليذكر حال اليتيم:{ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا (90)} [النساء: ٩].

* * *

المفتاح العاشر:

المتابعة بين الحج والعمرة

عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ◘ :♂تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة، وليس للحجة المبرورة جزاء إلا الجنة▬(1).

المقصود من تشريع الحج والعمرة: أن يحضروا منافع لهم أي يحصلوها وإقامة ذكر الله عز وجل في تلك البقاع التي عظمها سبحانه وشرفها وجعل زيارتها على الوجه الذي شرعه من تعظيم حرماته وشعائر دينه، وذلك خير لصاحبه في العاجلة والآجلة، وأمارة على تقوى القلوب، التي - جعل الله لأهلها البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة وذلك من أعظم المنافع.

ومن حديث جابر- رضي الله عنه- أن رسول الله ◘ قال:♂صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه▬(2).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سئل رسول الله ◘ أي العمل أفضل؟ قال:♂الإيمان بالله ورسوله▬. قيل: ثم ماذا؟ قال:♂الجهاد في سبيل الله▬. قيل: ثم ماذا؟ قال:♂حج مبرور▬(3).

---

(1) رواه الترمذي وصححه.

(2) رواه الإمام أحمد في مسنده وابن ماجة.

(3) متفق عليه.

عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله ◘ يقول:♂من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه▬(1). والمعنى: غفرت ذنوبه فلم يبق عليه منها شيء.

وفيهما عنه - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ◘ :♂العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة▬(2).

ومن أحاديث الجامع الصغير للسيوطي وزياداته للنبهاني، والتي صححها الشيخ العلامة محمد ناصرالدين الألباني - حفظه الله تعالى:

قوله ◘ :♂من طاف بهذا البيت أسبوعاً - يعني سبعاً- فأحصاه كان كعتق رقبة، لا يضع قدماً ولا يرفع أخرى إلا حط الله عنه بها خطيئة، وكتب له بها حسنة▬.

وقوله ◘ :♂ما ترفع إبل الحاج رجلاً ولا تضع يداً إلا كتب الله له بها حسنة، أو محا عنه سيئة، أو رفع له درجة▬. وهذا يدل على فضل السفر إلى الحج والعمرة.

وقوله ◘ :♂الحجاج والعمار وفد الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم▬. وفي ذلك تنبيه على ما لهم عند الله من الضيافة وإجابة الدعاء.

فكل هذه الفضائل من المنافع العظيمة التي يحصلها الحجاج بحجهم إلى بيت الله الحرام.

ومن المنافع العظيمة: أن الحج اجتماع عام للمسلمين يلتقون فيه من شتى أقطار الأرض، يكون من أسباب جمع كلمتهم ووحدة صفهم، وإصلاح ذات بينهم،

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

(2) رواه البخاري ومسلم.

وتقوية أواصر المودة والإخاء فيما بينهم، مع ما يحصل فيه من التفقه في الدين والتعاون على مصالح الدنيا، وقيام كل شخص وطائفة بما يجب عليه نحو إخوانه من الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والصبر والمرحمة، والتفاهم في القضايا المهمة والحوادث المستجدة وتحصيل ما رتب الله على القيام بهذه الطاعات من الأجور العظيمة.

ومن المنافع الدنيوية: ما يصيبونه من لحوم الهدي من البدن وغيرها- مع عبوديتهم لله فيها بذكر اسمه عليها -، فيأكلون ويهدون ويتصدقون، قال تعالى:{ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ (32) } [الحج: ٣٣].

ومن المنافع الدنيوية أيضا: ما يحصل لمن اتجر في الحج من الأرباح- غالباً - وزيادة الفضل من الله تعالى، وقد اتفق علماء التفسير على أن معنى قوله تعالى:{ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198)} [البقرة: ١٩٨].

أنه ليس على الحاج حرج ولا إثم إذا ابتغى فضل الله - خلال موسم الحج- بالتجارة والكرى- أي الإجارة- ما دام ذلك لا يشغله عن شيء من نسكه، ولا يعرضه ذلك إلى الوقوع في شيء مما يخل بالحج، من الرفث والفسوق والجدال ونحو ذلك.

* * *

المفتاح الحادى عشر:

النكـــاح!!!

روى الثعلبي عن ابن عُجلان أن رجلا أتى النبي ◘ فشكا إليه الحاجة والفقر، فقال:♂عليك بالباءة▬.

وروى عبد الرزاق عن عمر أنه قال: عجبت لرجل لا يطلب الغنى بالباءة، والله تعالى يقول في كتابه:{ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) } [النور: ٣٢].

وقال القفَّال في محاسن الشريعة: قد وعد الله على النكاح الغنى فقال:{ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) } [النور: ٣٢].

وعن أبي هريرة مرفوعا:♂ثلاثة حق على الله أن يغنيهم▬، وفي لفظ:♂عونهم▬:♂المجاهد في سبيل الله، والمكاتب الذي يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف▬ ، وفي لفظ:♂والناكح ليستعفف▬(1).

ولابن منيع عن أبي هريرة رفعه: " حق على الله عون من نكح يريد العفاف عما حرم الله " .

(1) رواه ابن حبان والحاكم فى الصحيح.

وروى الديلمي عن أبي أمامة وجابر: " ثلاثة حق واجب على الله أن يؤدى عنهم " ، وذكر منهم " : متزوج ليستعف ".

وروى الحارث بن أبي الصامت في مسنده عن ابن عمر ورفعه: " ثلاثة من اِدّانَ فيهن ثم مات ولم يقض، قضى الله عنه " وذكر " ورجل يخاف على نفسه العنت في العزوبة، فاستعَفّ بدَيْنٍ " .

قال في التمييز: قلت: والذي يدور على ألسنة العوّام معناه، وهو قولهم " تزوّجوا فقراء يغنكم الله " .

قال الإمام المناوي في فيض القدير في شرح هذا الحديث:

أي بالنكاح أي: بالتزوج؛ فإنه جالب للبركة جارّ للرزق؛ موسع إذا صلحت النية.

قال الزمخشري: والرزق الحظ والنصيب مطعوماً أو مالاً أو علماً أو ولداً أو غيرها. قال في الإتحاف: خبر تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال يدل على ندب التزويج للفقير، ومذهب الشافعي رضي اللّه تعالى عنه ندبه قدرته على المؤنة.

فالنكاح جالب للبركة، وفي خبر آخر:♂تزوجوا النساء فإنهن يأتين بالمال▬ أي: بما يرزق الله بسببهن هذا إذا خلصت النية في هذا العمل لله، وهذا أمر مجرب مشاهد بالعيان، ويصدق هذا الحديث قول الله تعالى في محكم تنزيله:{ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) } [النور: ٣٢].

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ◘ :♂ثلاثة حق على الله عونهم الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله▬ (1).

وقد روى السيوطي في الدر المنثور أن الخطيب أخرج في تاريخه عن جابر قال: جاء رجل إلى النبي ◘ يشكو إليه الفاقة فأمره أن يتزوج.

وقال ابن كثير في تفسيره:

قال ابن عباس: رغبهم اللّه في التزويج، وأمر به الأحرار والعبيد، ووعدهم عليه الغنى، فقال:{ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) } [النور: ٣٢]،

وقال أبو بكر الصديق رضي اللّه عنه: أطيعوا اللّه فيما أمركم به من النكاح، ينجز لكم ما وعدكم من الغنى، وعن ابن مسعود التمسوا الغنى في النكاح، يقول اللّه تعالى:{ وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) } [النور: ٣٢].

* * *

---

(1) وقد أخرج عبد الرزاق وأحمد والترمذي وصححه والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه والبيهقي في سننه عن أبي هريرة.

المفتاح الثاني عشر:

الإنفاق على من تفرغ لطلب العلم

فمن كان له أخ أو صديق أو جار فقير يدرس ويتعلم لينفع المسلمين... واستطاع أن يعطيه ويوسع عليه ويغنيه عن عدم ترك العلم وطلبه كان ذلك من أبواب الرزق له.

فعن أنس بن مالك قال: كان أخوان على عهد النبي ◘ فكان أحدهم يأتي النبي والآخر يحترف فشكا المحترف أخاه للنبي فقال:♂لعلك ترزق به▬ (1). فأنفقوا إخوانى على طلاب العلم لعلكم ترزقون بهم، ويجوز النفقة على طالب العلم من الزكاة، أسأل الله تعالى أن يزيدكم رزقاً ويزيدكم قوة إلى قوتكم اللهم آمين.

* * *

---

(1) رواه الترمذي.

الخاتمة

أخى المسلم الحبيب:

حينما تقدم على أكلِ الحرام، حينما تُعامل بالرّبا، وحينما تستحلّ الرشوة، وحينما تجحَد الحقوق، وحينما تغشّ وتدلّس، وحينما تخون الأمانة، وحينما تسيء معاملتك في المال أين إيمانك الذي يردعُك؟! أين إيمانك الذي يحجزك عن هذا الحرام؟! فاتّق الله في نفسِك، وتدبّر أمرَك قبل لقاء ربّك.

أمّا المؤمن الذي يخاف اللهَ ويرجوه فهو الذي يأخذ المال من حِلّه، ويضعه في محلِّه، إن أكَله أُجِر عليه، إن تصدّق قُبِلت صدقتُه، إن أمسكه بورك له فيه، إن دعا الله أجاب الله دعوتَه، إن خلّفه خلّف وراءه خيراً وعاش مَن بعده في سعادة ونعمةٍ من الله.

أخى المسلم الحبيب:

كيف ترضى أن تخلِّف لمن بعدك مكاسبَ خبيثة، جنَيتها من طرقٍ خبيثة، لا تبالي ولا تستحي ولا تخجَل من الله، فتؤكِّل مَن بعدك حرامًا، تخلِّف لهم الحرامَ من مكاسبَ خبيثة وبيوعاتٍ محرّمة، من مخدّرات وأمورٍ حرّم الشارع بيعَها. فاتّق الله في نفسك، اتّق الله في مكسَب المال، لا تكتسبه إلاّ من طريق الحلال.

أخى المسلم الحبيب:

إيّاك والرّبا والرّشى، إيّاك والخيانةَ، إيّاك والغشّ، إيّاك والخداع، إيّاك وبيعَ الأمور التي حرّمها الشارع عليك، فإنّ اللهَ حرّم عليك بيوعاتٍ محرّمة، فاتّق الله في نفسِك، وإيّاك أن تقدمَ عليها، بل ليكُن عندك خوفٌ من الله وورعٌ واتقاءٌ للمشتبِهات، حتّى تسلَم على دينك، فمن اتّقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضِه، ومن وقع في الشّبهات وقع في الحرام.

نبيّنا ◘ يقول:♂لا الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُفتحَ عليكم الدّنيا فتنافسوها، فتهلككم كما أهلكت من قبلكم▬.

فابتغِ الرزقَ بالطّرق الحلال، وأجمِل في الطلب، ولا يحملنّك حبُّ المال على أن تطلبَه بمعاصي الله، فما عند الله لا يُنال إلا بطاعتِه، والرّزق المكتوبُ لك لا بدَّ آتيك، يطلب العبدَ رزقُه كما يطلبه أجلُه، فخُذ بالأسباب النّافعةِ، خذ بالأسباب المباحة، ليكن بيعُك واضحًا، وليكن تعاملك صحيحًا، ولتكن كلُّ معاملاتِك على وفق ما شرع الله، لتكونَ من المتقين.

يقول نبينا الكريم ◘ :♂إن الله طيّب لا يقبل إلا طيّبًا▬، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) } [المؤمنون: ٥١]،

وقال:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (172)} [البقرة: ١٧٢]،

ثم ذكر النبيّ ◘ الرجلَ يطيل السّفر، أشعَث أغبَر، يمدّ يديه إلى السماء: يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ، قال:♂ومطعمُه حرام، وملبسه حرام، وغذّي بالحرام، فأنّى يُستجاب لذلك؟!▬.

أنّى يستجاب لذلك معناه: أنّ هذا أتى بالأسباب التي يُرجَى بها قبولُ الدعاء مِن كونه مسافرًا ودعاءُ المسافر مستجاب، مِن كونه رافعًا يدَيه، مِن كونه مستعينًا لربّه، لكن أكلُ الحرام حال بينه وبين قَبول دعائه، أيُّ مصيبةٍ أعظم من أن يردَّ الله دعاءك ولا تنتفع من دعائك؟!

فاحذَر - أخى المسلم الحبيب - أكلَ الحرام، حاسِب نفسَك في الدنيا، عُد إلى نفسك، وقيّم أموالَك، واتَّق الله في الحرام فلا خيرَ فيه، ولا تخلّفه لمن قد ينتفع به، وتحمِل أنت الآثامَ والأوزار، وتلقى الله بالتّبعات يومَ قدومِك على الله،{ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36) } [عبس: ٣٤ - ٣٦]

، ولا يرحمُه إلا الله باريه. فاتّق الله في نفسِك، ولا تغرّنّك الدنيا ولا تخدَعنّك مكاسبُها، قِف عند نفسِك، وحاسِب نفسَك عند كلِّ صفقةٍ تجاريّة؛ أفيها حرامٌ أم لا؟

أخى المسلم الحبيب:

اتّق الله في المعاملات، واتّق الله في الرّبا، وكن بعيدًا كلَّ البعد عنه، لتكون من المؤمنين حقًّا. إيّاك والخداعَ والغشَّ وظلمَ العباد وخيانتهم، إيّاك والكذب وكتمَ العيوب، إيّاك وإيّاك من كلّ ما حرّم الله عليك. هذا هو الواجب على المسلم الذي يخاف الله ويرجوه.

قال الله جلّ وعلا:{ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (51) } [المؤمنون: ٥١].

تم بحمد الله،

* * *

الفهـرس